

# الصحة الإسلامية في آسيا الوسطى

## الواقع والتحديات

محمد عادل

باحث وكاتب سياسي

### ملخص البحث

تبدلت الحالة التاريخية بآسيا الوسطى وتغير الوضع السياسي. وبدأت الصحة الإسلامية الناشئة في خط المواجهة الأمامي أمام الإرث الشيوعي السابق وأمام الزحف الغربي الذي تسلسل محاولاً ملء الفراغ الذي خلفته الحقبة السوفيتية. وتحظى منطقة آسيا الوسطى بسميزات جغرافية واستراتيجية جعلتها محط أطماع القوى الإقليمية والدولية. وشهدت المنطقة قديماً حضارة إسلامية زاهرة؛ إذ دخلها الإسلام مبكراً منذ القرن الأول الهجري. وبعد التأثير الواضح والتعبية للمستعمر الروسي السابق هي أبرز ما شكّل ملامح دول المنطقة بعد الاستقلال أواخر القرن الماضي؛ حيث إن المنطقة ظلت لقرون معزولة عن العالم الإسلامي. ونشأت بعد استقلال دول آسيا الوسطى حركات وأحزاب إسلامية مختلفة التوجهات تشتتت في مسعاها إلى إقامة مجتمع إسلامي. وعلى الرغم من المنهج السلمي الذي تبنته معظم الحركات إلا أن بعضاً منها انتهج سلوكاً تصادماً عنيفاً ضد السلطات. وواجهت الصحة الإسلامية بآسيا الوسطى العديد من التحديات الداخلية تمثلت في التضييق الحكومي على العمل الإسلامي، فضلاً عن المخلفات الإلحادية الموروثة من الحقبة السوفيتية، يضاف إلى ذلك ضعف إمكانات الصحة، والنشاط التنصيري المتنامي بالمنطقة. كما واجهت الصحة تحديات خارجية تمثلت في قلة الدعم الإسلامي، والأطماع الدولية في منطقة آسيا الوسطى بسبب ثرواتها وموقعها الاستراتيجي. ومع كل هذه التحديات، فإن الإسلام والرغبة في العودة إليه، تحتل ركناً أساسياً في هوية مسلمي آسيا الوسطى، وسوف يتحول الإسلام بالضرورة إلى عنصر حيوي مؤثر فيها. إن الصحة الإسلامية بآسيا الوسطى باتت هي الأقدر على التجاوب مع الشعوب، مما يجدر معه أن تتجه للبحث عن الحلول المناسبة لقضايا المسلمين بعيداً عن السياسات المتعجلة.

### أفكار ومقتطفات

\* تحظى منطقة آسيا الوسطى بأهمية كبرى منذ القدم؛ إذ تتمتع بمميزات جغرافية واستراتيجية جعلتها محط أطماع القوى الإقليمية والدولية الكبرى.

\* بقيت منطقة آسيا الوسطى لفترة طويلة مجالاً مغلقاً بعيداً عن الأطماع الدولية بين القوى بحكم الهيمنة التي بسطتها الإمبراطورية الروسية ثم الاتحاد السوفياتي على دول المنطقة

\* حاولت الشيوعية القضاء على الأديان ومنها الإسلام ومحوه من نفوس أبنائه في تلك البقعة من العالم. وبذلت في سبيل ذلك كل ما لديها من برامج ومخططات حتى انزوت الشعائر الدينية الإسلامية؛ فهي لا تُؤدَّى إلا في سراديب ومخابئ بعيداً عن أعين السلطات.

\* أدى تعرض الإسلام لضغوط متواصلة وهدم منتظم استمر قرناً حولته في نهاية المطاف في نظر شعوب آسيا الوسطى إلى إسلام العادات لا إسلام العقائد والثقافة والأحكام.

\* قد انعكست ظروف المجتمعات والنظم الحاكمة لدول آسيا الوسطى على شكل ونمط الحركات الإسلامية وتمثلت هذه الظروف في الأزمة الروحية التي كانت تعيشها الجمهوريات السوفياتية السابقة بما فيها جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية والأزمة الاجتماعية المتمثلة في انتشار حالات القلق الاجتماعي والانحدار الخلقي؛ فضلاً عن الواقع السياسي المتمثل في أنظمة رفعت شعارات الديمقراطية والتنمية والإصلاح الاقتصادي في بداية استقلال تلك الدول ثم ما لبثت أن تراجعت ومارست التضييق وقمع الحريات.

\* واتبعت دول المنطقة وخاصة حكومة أوزبكستان خطوات عدة من أجل ضرب الصحة والقضاء على تحركاتها السياسية والتنشيطية .

\* "اعلموا أن ورائي أمريكا وبوش وهم لا يعيرون بمثل هذه المذابح؛ لأن الأمريكان لو كانوا ضد هذه المذابح لما قدموا لنا هذه المساعدات المالية السنوية. وقد لاحظت ذلك عند زيارتي لواشنطن؛ فقد ثهن الأمريكيون جهدي وتضحياتي في الحرب على الإرهاب وقدموا لي جائزة سخية من أجل تصفيتي وسحقي لأصحاب اللحى" الرئيس الأوزبكي كريموف.

\* إن تقديم الإسلام في شكل شعبي يمجد الماضي هو وسيلة أخرى إلى جانب ما يسمى الإسلام الرسمي لإحكام القبضة الأيديولوجية للنظم الحاكمة في آسيا الوسطى.

\* لم تتحرك الولايات المتحدة بمفردها في آسيا الوسطى لتحقيق مصالحها. وإنما أشركت -لاعتبارات

## الصحة الإسلامية في آسيا الوسطى الواقع والتحديات

### مقدمة:

في ضوء المتغيرات التي أُلغَتْ بالمنطقة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ومن خلال الواقع الجديد الذي تحياه الشعوب، والذي فرض عليها خيارات عديدة أدت إلى بروز الثقافة والهوية الإسلامية من جديد إلى سطح الأحداث بعد غياب طويل باعتبارها المكون الأساس لحضارة المنطقة وهوية شعوبها.

### الوضع الاستراتيجي لمنطقة آسيا الوسطى:

تحظى منطقة آسيا الوسطى قديماً وفي العصر الحديث بأهمية كبرى؛ إذ تتمتع بمميزات جغرافية واستراتيجية جعلتها محط أطماع القوى الإقليمية والدولية الكبرى.

وبالنظر إلى جغرافية المنطقة كما هو موضح بالخريطة رقم (١) نجد أن:

جمهورية آسيا الوسطى الخمس (تركمنستان وأوزبكستان وكازخستان وطاجيكستان وقيرغستان) مطوقة من الشرق بقوة عظمى صاعدة هي الصين، ومن الشمال بمستعمرها السابق روسيا، ومن الجنوب بدولة تنشط فيها الحركات الجهادية والتيارات الإسلامية وهي: أفغانستان، وجمهورية إيران، وعلى مقربة من دولة ذات ثقل إقليمي وهي تركيا، كما أنها لا تبعد كثيراً عن منطقة الخليج، ذات الأهمية الاستراتيجية بالنسبة إلى الغرب، وأمن الكيان الصهيوني، ويمثل هذا الموقع وسطاً جغرافياً فريداً يتجاوز في تأثيره مجاله الإقليمي؛ حيث

إن الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية التي تعيشها شعوب آسيا الوسطى تمر بمتغيرات كبيرة تحدث على عدة مستويات، وبالتالي تؤثر في جميع التيارات السياسية والإصلاحية التي تعمل وتتحرك في هذه المنطقة، والصحة الإسلامية بأسيا الوسطى - مثل أي توجه وتيار آخر- تتأثر بما يجري حولها من أحداث وتطورات في جميع المناحي.

ومهدت هذه المتغيرات التي حدثت خلال الأعوام القليلة الماضية لمرحلة جديدة لم تشهد لها الصحة الإسلامية بأسيا الوسطى من قبل؛ حيث تبدلت الحالة التاريخية التي تعيشها المنطقة وتغير الوضع السياسي؛ وعظمت التحديات، وتغير أطراف الصراع، وتجددت أساليبه؛ وبدت الصحة في خط المواجهة الأمامي أمام الإرث الشيوعي السابق الذي ورثته المنطقة خلال عقود طويلة، والذي ما زال تأثيره قوياً في عقول الكثيرين وأمام الزحف الأمريكي الغربي الحضاري الذي تسلسل مسرعاً محاولاً ملء الفراغ الذي خلفته الحقبة السوفياتية بالمنطقة.

وتهدف هذه الدراسة إلى تناول ظاهرة البعث الجديد للوعي الإسلامي، وتنامي الصحة الإسلامية في آسيا الوسطى، والتحديات التي تواجهها، ومحاولة تحديد ملامح المرحلة الجديدة التي دخلت الصحة بأسيا الوسطى على أعتابها، واستشراف مستقبلها.

عدة- الكيان الصهيوني في تحركاتها بالمنطقة.

\*مع كل هذه التحديات التي يلقاها المسلمون وتعانيها الحركات الإسلامية بأسيا الوسطى، فإن الإسلام والرغبة في العودة إليه كامنة في صدور المسلمين، تحتل ركناً أساسياً في هويتهم، إذ بدؤا يستشعرون حقيقة الهجمة الشرسة عليهم، وسوف تتحول التيارات الإسلامية مع الوقت إلى عنصر أساس فعال في التركيبة السياسية والاجتماعية في هذه الدول من خلال العمل الجماهيري والممارسة السياسية والأنشطة المعلنة والسرية.

السياسة على انتشار الإسلام في المنطقة. وقد نشأت فيها حركة علمية وحضارية إسلامية. امتزج فيها العرب بسكان المنطقة الأصليين: فأقاموا صرح حضارة زاهرة امتدت قروناً طويلة.

ولآسيا الوسطى مكانة رفيعة ولا يزال يشهد لها على تلك المكانة أسماء المدن التاريخية العظيمة مثل: سمرقند - بخارى .

من العواصم الثقافية حتى القرن الرابع عشر. وظهر فيها كوكبة من علماء الدين.

ولآسيا الوسطى مكانة رفيعة في التاريخ الإسلامي: وما زال يشهد لها على تلك المكانة أسماء المدن التاريخية العظيمة مثل: سمرقند - بخارى - طشقند - خوارزم - ترمذ. وهي أسماء تدل على أعلام لهم أيضاً مكانتهم في التاريخ الإنساني عامة. وفي التاريخ الإسلامي بشكل خاص. مثل: الخوارزمي، والفارابي، والبخاري، والترمذي، وابن سينا.

وامتدت أهم مرحلة لانتشار الإسلام وتوسعه من أواخر القرن الأول إلى أوائل القرن السابع الهجري: حيث بدأ اجتياح التتار بقيادة جنكيز خان للمنطقة سنة ٦٠٠ هجرية تقريباً. أي ما يعادل ١٢٢٠ ميلادية. فدخلوا بلاد ما وراء النهر مدينة تلو أخرى فقتلوا ودمروا.

وفي خلال القرن الرابع عشر الميلادي قضى المغول على الخلافة الإسلامية، واستتب لهم الأمر في مناطق شاسعة من بلاد المسلمين. حتى بدأ الإسلام ينتشر في صفوفهم: بعد أن أسلم ملكهم بركة خان واتخذ اسم الملك السعيد. وحكم من ١٥٤ هجرية - ١٦٥ هـ. فانتشر الإسلام في القبيلة الذهبية التي سكنت أعالي بلاد ما وراء النهر.

الهيمنة التي بسطتها الإمبراطورية الروسية ثم الاتحاد السوفييتي على دول المنطقة: إلا أنه وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي سرعان ما توجهت إليها أطماع القوى المجاورة، وغير المجاورة، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية. وحاولت روسيا الإبقاء على أكبر قدر ممكن من نفوذها الذي بدأ يضعف في المنطقة. وذلك بإعادة تشكيل علاقاتها مع دول المنطقة على أسس أمنية وعسكرية واقتصادية جديدة تكفل لها الاستقلال الظاهري مع بقائها منطقة أمنية ومجالاً حيوياً خاضعاً للهيمنة الروسية.

### تاريخ الإسلام في آسيا الوسطى:

كانت المنطقة قبل دخول الإسلام تدين بأديان آسيا الوسطى المتعددة مثل: البوذية والزرادشتية والنسطورية النصرانية. وعانت من التفرقة العرقية والظلم والحروب بين القبائل والقوى العسكرية فيما بين إمبراطوريتي الصين من الشرق وفارس من الغرب.

ودخل الإسلام إلى المنطقة عبر حركة الفتوح منذ عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وخلال القرن الهجري الأول استمرت عبر عهد عثمان بن عفان -رضي الله عنه-. ثم على يد القادة في زمان بني أمية. حيث فتحت بلاد فارس بالكامل. ومناطق كبيرة من آسيا. وازدهرت الفتوح في عهد خلافة عبد الملك بن مروان وأولاده. واستمر أهل تلك البلاد بالنقض والانقلاب والقتال. ولم يستتب حكم الإسلام فيها إلى عهد الفاتح الكبير (قتيبة بن مسلم الباهلي) وهو الذي أعاد فتح بلاد خوارزم وبخارى وسمرقند ثم ولي خراسان. وهو الذي وُكِّد حكم الإسلام في بلاد ما وراء النهر سنة ٨٨ هـ وهو ما يوافق سنة ٧٠٦ ميلادية (ما وراء النهر هي المنطقة الواسعة المحصورة ما بين نهري سيحون وجيحون وما حولهما وتسمى اليوم تركستان). حيث وصلت جيوشه إلى تخوم الصين. كما ساعد العدل وحسن



خريطة آسيا الوسطى

وإيران. غير أن الجديد والذي أثار الجدل والتكالب والصراعات على المنطقة هو اكتشاف كميات ضخمة من النفط في بحر قزوين. والتقدير الأولي تشير إلى أن هذه الكميات تبلغ ١٥٠ مليار برميل من البترول. وربما مثلها من الغاز<sup>(١)</sup>.

وتحتوي دول آسيا الوسطى مخزوناً استراتيجياً من المنشآت الصناعية من كل المستويات من الصناعات المتوسطة إلى التكنولوجيا الثقيلة التي ورثتها دول المنطقة بعد تفكك الاتحاد السوفييتي. وأهمها المؤسسات والمنشآت الصناعية العسكرية. مع وجود قاعدة كبيرة من العلماء والمتخصصين في مختلف التخصصات الحيوية والنادرة والتي استفادت كثيراً من الإمكانيات العلمية والتقدم التقني للاتحاد السوفييتي.

وبقيت منطقة آسيا الوسطى لفترة طويلة مجالاً مغلقاً بعيداً عن الأطماع الدولية بين القوى بحكم

"تمثل هذه المنطقة نقطة التقاء حضارات عريقة عدة بتوسطها ما بين الشرق والغرب إحدى طرق التبادل التاريخية بين آسيا وأوروبا. وبالتالي تقع في قلب المجال الجغرافي الواسع المصطلح على تسميته أوراسيا. كما أنها تفصل بين روسيا شمالاً ومجال الشرق الأوسط وشبه القارة الهندية جنوباً. وهي بذلك تعتبر المنطقة المتحكمة بقلب العالم كما حددها عالم الجيوبوليتيك ماكندر"<sup>(١)</sup>.

وتتملك آسيا الوسطى احتياطياً ضخماً من الموارد الطبيعية. كالنفط والغاز الطبيعي والفحم. والمواد المعدنية. والمعادن النادرة. إلى جانب مساحات شاسعة من المراعي الجيدة. والأراضي الزراعية الخصبة. فأوزبكستان تعد ثالث أكبر منتج في العالم للقطن. بينما تمتلك جمهورية تركمنستان احتياطياً ضخماً من الغاز الطبيعي: تحتل به المركز الرابع على مستوى العالم بعد روسيا والولايات المتحدة

وقد أعطى ذلك دفعاً جديداً للإسلام أوصله حتى سيبيريا الغربية، وأصبحت مدينة سيبريا نسبة لملكها المسلم التركي (صابر) عاصمة إسلامية في القرن السابع الهجري، وانتشر الإسلام إلى نصف منغوليا، وحكموا وسط آسيا إلى موسكو، وهكذا خضعت عموم بلاد الاتحاد السوفيتي المعروف للإسلام الذي وصل أيام ( تيمور لنك ) إلى بولندا وكانت عاصمته (سمرقند) (٣).

### الغزو الروسي لبلاد آسيا الوسطى الإسلامية ومراحلها:

كان الروس أمة وثنية، ثم دخلوا النصرانية سنة ٣٧٨هـ أي ٩٨٨م، وبعد فتح القسطنطينية من قبل العثمانيين سنة ٨٥٧هـ هجرية الموافقة لسنة (١٤٥٢) ميلادية فَرَّ قساوستها إلى روسيا، وصار الروس هم ممثلي الكنيسة الشرقية وحاملي لواء الصليبية في آسيا.

وفي عام ٨٨٥هـ / ١٤٨٠ ميلادية ظهر إيفان الثالث، وبدأ حروبه ضد التتار المسلمين، وأبعدهم عن موسكو، وتكَلَّم بهم.

خلفه حفيده (إيفان الرهيب) الذي سمي بذلك لشدة ما لحق بالمسلمين من أذى على يديه، فغزا بلاد التتار المسلمين، واستولى على حوض الفولغا - غرب سيبيريا- وفرض النصرانية على التتار فيها أو الهجرة، وخاض إيفان الرهيب حروباً عديدة وشتت بها أراضي روسيا، وجعل منها إمبراطورية مترامية الأطراف.

ونجحت روسيا القيصرية في الفترة من ١٥٥٣م إلى عام ١٦٨٩م من احتلال المناطق الشمالية لبحر الخزر (قزوين)، والأجزاء الشرقية من كازاخستان، ومعظم سيبيريا.

وبعد أن احتل الروس القفقاس بعد حروب طويلة انطلقوا إلى وسط آسيا اعتباراً من ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م.

وبعد مجازروقت لشعوب تلك المنطقة على يد الروس الغازين خضعت المنطقة للاحتلال الروسي سنة ١٩٠٠م واتبعت الإدارة العسكرية الروسية فيها سياسة الستار الحديدي والاضطهاد الديني والمحاولات المستميتة لتنصير المسلمين. وفرض الروس سياسة البطش ونشر التخلف والجهل على البلاد ليسهل احتلالها. ثم دبت الفوضى في دولة القيصرية مدة ربع قرن من (١٩٠٥ - ١٩٢٨) واتسعت حركات التمرد السياسية التي أسفرت عن الثورة البلشفية.

وبرغم وقوف المسلمين في بداية الثورة البلشفية إلى جانب لينين -الذي وعدهم بالحرية- إلا أن الثورة البلشفية لم تغير من السياسات المتعنتة، والتي غلب عليها المحاربة والتضييق ضد المسلمين وبقية الأديان. رغم إعلانها حق الأمم في تقرير مصيرها (٤).

وحاولت الشيوعية القضاء على الأديان ومنها الإسلام ومحوه من نفوس أبنائه في تلك البقعة من العالم، وبذلت في سبيل ذلك كل ما لديها من برامج ومخططات حتى انزوت الشرائع الدينية الإسلامية فهي لا تُؤَدَّى إلا في سرايب ومخابئ بعيداً عن أعين السلطات.

وقد أدت السياسة السوفيتية بهذا الصدد إلى عزل آسيا الوسطى عزلاً شديداً عن محيطها (الإسلامي)، وقطعت بصورة جذرية علاقتها بهويتها الإسلامية. وجرى ذلك من خلال تأكيدها على فكرة وجود ثقافتين: (تقدمية ورجعية) في تاريخ كل أمة؛ إذ اعتبرت الثقافة الروسية بشكل عام "تقدمية"، والإسلامية بشكل عام "رجعية" (٥). وساهمت السياسات التعليمية السوفيتية التي تقدم معلومات مشوهة عن الإسلام، تصفه بالخرافة، والظلامية، والتخلف، والإرهاب، في ضعف كبير للهوية

والثقافة الإسلامية بالنسبة لشعوب آسيا الوسطى، وأدى تعرض الإسلام لضغوط متواصلة وتشويه

مستمر -استمر قروناً- جعل منه في النهاية في نظر مسلمي آسيا الوسطى مجموعة من العادات والتقاليد التي يختلط بها كثير من الخرافة، وللتدليل على الأثر السيئ للسياسات الشيوعية على مسلمي المنطقة نجد "نسبة المسلمين قبيل الاحتلال الشيوعي في جمهورية طاجكستان ٩٨٪ من مجموع السكان، ثم تناقصت نتيجة الغزو الروسي وعمليات التهجير والتدوين إلى ٨٢٪، ثم عادت بعد الاستقلال لتصبح ٨٧٪ نتيجة عودة كثير من الروس إلى بلادهم" (١).

### واقع جمهوريات آسيا الوسطى بعد الاستقلال:

مع انهيار وتفكك الاتحاد السوفيتي وزوال الشيوعية استقلت جمهوريات آسيا الوسطى "شكلياً"، وتأسست رابطة الدول المستقلة عام ١٩٩١م من الدول التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي، ومن هنا برزت خمس دول إسلامية جديدة أضيفت إلى خارطة الدول المستقلة (طاجيكستان-تركمانستان - قيرغزستان - أوزبكستان - كازاخستان). ويظهر هذا الجدول -باختصار- التكوين السياسي لجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية (٧):

م	الدولة	المساحة (كم <sup>٢</sup> )	السكان بالمليون	اللغة	نظام الحكم	رئيس الدولة
١	كازخستان	٢,٧١٧ مليون	٧٣٣,١٦	الكازاخية والروسية	جمهورية رئاسي	نور سلطان نزارباييف
٢	أشكباباد	٤٨٨,١ ألف	٤,٥١٨	التركمانية والروسية	جمهورية رئاسي	صابر مراد نيازوف
٣	أوزبكستان	٤,٤٤٧ ألف	٧٥٥,٢٤	الأوزبكية والروسية	جمهورية رئاسي	إسلام كريموف
٤	طاجكستان	١,١٤٣ ألف	٤٤٠,٦	الطاجيكية	جمهورية رئاسي	إمام علي رحمانوف

والروسية

قيرغزستان	١٩٨,٥٠٠ ألف	٤, ٦٨٥	القرغيزية والروسية	جمهورية رئاسي	كرمان بيك باكيف
-----------	-------------	--------	--------------------	---------------	-----------------

### التكوين السياسي لجمهوريات آسيا الوسطى

ويمكننا بسهولة أن نميز أبرز ما شكّل ملامح دول المنطقة بعد الاستقلال وهو "التأثر الواضح بالثقافة الروسية السابق والتبعية له سياسياً واقتصادياً؛ حيث إن المنطقة ظلت لقرون عديدة معزولة عن العالم الإسلامي؛ مما جعلها تدور في فلك التاريخ الروسي بمختلف مراحلها.

إلا أن هذا التأثير وهذه التبعية يتباينان من دولة لأخرى حسب توجهات الأنظمة الجديدة، ومدى ارتباطها بموسكو، وحاجتها السياسية والعسكرية إليها.

كما أن هذه الدول جميعاً ما زالت تعاني من ضعف هياكلها الاجتماعية والقومية والسياسية الداخلية، لهذا تناضل من أجل التخلص من الهيمنة الروسية، إلا أنها -لارتباطها الشديد السابق بها- تلجأ إليها مع كل تهديد داخلي (في الأغلب من جانب الإسلاميين، وفي سعيها للاستقلال التام تسارع إلى دخول كل تجمع إقليمي جديد (٨).

وعند انهيار الاتحاد السوفيتي تطلعت دول آسيا الوسطى إلى أن تضع أقدامها على أعتاب الديمقراطية، وكانت هناك بداية مؤشرات جيدة للتحوّل إلى الديمقراطية من قبل قيرغزستان، ولكن

لم يدم هذا الوضع كثيراً؛ إذ تبين للطبقة الحاكمة أن البقاء في السلطة أكثر أهمية من التحول الديمقراطي واحترام حقوق الإنسان.

وتولت العناصر ذات التوجه الشيوعي القيادة السياسية في هذه الجمهوريات. بعد تخليها نظرياً عن الأيديولوجيا الماركسية اللينينية، التي تشبَّعوا بها. وبسبب عدم وجود قيادات وطنية أو إسلامية ذات خبرة -سبق أن قادت النضال من أجل الاستقلال- فقد بقيت السلطة الحقيقية في يد الكوادر الإدارية السوفيتية. أما عن الأنظمة السياسية فبرغم بعض التغييرات السطحية أكثر مما هي حقيقية، في آسيا الوسطى. فقد ظهر أثر التجربة السوفيتية بقوة في مؤسسات الدولة وتقنيات الحكم، وأسلوب التفكير. وفي معظم البلدان في المنطقة ما يزال الحكم يحتفظ بنظام قريب من الحزب الواحد.

أما ما يمكن أن نلاحظه من تغيير على الصعيد السياسي فنجد السمة البارزة من حيث التغيير هي اللجوء إلى الوطنية؛ حيث إن الاستقلال وكذلك إرادة الكوادر في الحفاظ على السلطة يفرض عليهم حمل لواء الوطنية. وتظهر هذه الوطنية -بشكل خاص- بالنسبة إلى اللغة. فبرغم أن الروسية ما زالت حتى الآن لغة التواصل والثقافة، إلا أنه يُشاهد في آسيا الوسطى صدور عدة قوانين من شأنها بعث "اللغة الوطنية".

وأبرز مثال لذلك ما قامت به قيرغستان؛ إذ أصدرت قوانين جديدة تنص على "تعليم اللغة القيرغيزية لجميع المواطنين اعتباراً من عام ٢٠٠٤م، وتأمين الدعم المالي اللازم للمواطنين الذين لا يتحدثون من أصول قيرغيزية من أجل تعلم اللغة، التي ستكون اللغة الأساسية للتعليم في دور الحضارة والمدارس. ويفرض القانون استخدام القيرغيزية بشكل كامل في الدوائر الحكومية عام ٢٠٠٥م، واستخدامها بشكل مكثف في البث الإذاعي والتلفازي الحكومي والخاص، ويشترط القانون إتقان القيرغيزية كشرط

للتوظيف في المؤسسات الحكومية اعتباراً من عام ٢٠٠٥م. كما يفرض القانون الكتابة باللغة القيرغيزية على جميع المنتجات التي يتم بيعها في البلاد إلى جانب فرض استخدامها على المنتجات المستوردة" (٩).

أما عن الاقتصاد فيمكننا ملاحظة تبعية المنطقة للمركز الروسي فحتى عام ١٩٨٥ (بداية البيريسترويكا) كان في كازاخستان حوالي ٢٥ ألف مؤسسة صناعية منها ألف مؤسسة كبيرة. في حين كانت أوزبكستان تتمتع بقدر جيد من تطور الصناعات الثقيلة؛ وكذلك صناعة الطائرات والغاز وشبكة متطورة من المحطات الكهربائية. بينما كانت في قيرغيزيا حوالي ٥٠٠ مؤسسة صناعية كبيرة. وبعض المحطات الكهربائية الكبرى. وصناعات متطورة نسبياً للنسيج، بينما تميزت تركمانيا بالصناعات النفطية والغازية. أما طاجيكستان فقد كانت أكثرها تخلفاً. ولم تأخذ صناعتها بالتطور إلا في بداية الثمانينيات. وبالأخص صناعة الألمنيوم ومشروع بناء المحطات الكهربائية الكبرى؛ إلا أن كافة هذه الصناعات -كما هو الحال بالنسبة لشبكة الطرق (سكك الحديد والشوارع)- كانت مرتبطة بروسيا فقط. أما تصديرها للبضائع التامة فقليل ومحصور ضمن الاتحاد السوفيتي وروسيا بالأخص. وفي الإطار العام كان حوالي ٦٥٪ من اقتصاد آسيا الوسطى مرتبطاً بروسيا وتابعاً لها" (١٠).

وعلى الصعيد الاجتماعي، ومنذ ١٩٩١، شهدت الجماهير هبوطاً جوهرياً في مستوى معيشتها، كما تعمقت الفروقات الاجتماعية. ونجد أن القسم الأكبر من سكان آسيا الوسطى يعيش تحت عتبة الفقر (رسمياً ٨٣٪ في طاجيكستان و٤٨٪ في تركمانستان و٤٣٪ في كازاخستان و ٥٠٪ في قيرغزستان و٢٣٪ في أوزبكستان). وعلى سبيل المثال حول مستوى معيشة السكان في آسيا الوسطى. يعادل الأجر الشهري في سنة ١٩٩٨م، في كازاخستان، ١٢٧ دولاراً أمريكياً مقابل ٥٨ \$

في أوزبكستان و ٥٤ \$ في تركمانستان و ٣٧ \$ في قيرغزستان و ١٢ \$ في طاجيكستان " ولا يدخل في هذه الأرقام الدخل الشهري من وسائل معيشة إضافية (١١).

### الصحة وعلاقتها بالشعوب والحكومات:

حاولت روسيا منذ انهيار الاتحاد السوفيتي فرض النظام العلماني على آسيا الوسطى الإسلامية وكرّست قيادات علمانية على رأسها. واستفردت وسعها في وقف أي تحرك يعيد هذه الشعوب لدينها؛ إكمالاً لمسلسل التغيب الذي فرض على المنطقة لعشرات السنين.

وبرغم أن هذه الهجمة الروسية قد أدت إلى تشويه كبير للهوية الإسلامية على مستويات عديدة، إلا أنها -وفي وقت لاحق- أدت إلى رد فعل عكسي. تمثل بنمو ظاهرة الصحة الإسلامية. وبروز الحركات الإسلامية. وتمسك المسلمين بديانتهم، والاستبسال في الدفاع عنها. وقوي الشعور الإسلامي لدى سكان آسيا الوسطى بعد هزيمة الاتحاد السوفيتي على يد المقاومة الأفغانية التي غلب عليها الطابع الإسلامي. مما ساهم في انتشار الفكر الإسلامي.

والدعوة إلى اعتماد نظام الحكم الإسلامي في هذه الدول خاصة في طاجيكستان.

فبعد غياب طويل انحسر فيه تأثير الإسلام لعقود في الحياة العامة في الجمهوريات السوفيتية.

ومنذ الإعلان عن سياسة "العلنية وإعادة البناء" والسماح لأصحاب الديانات أن يمارسوا شعائهم الدينية؛ عاد الإسلام للتأثير في واقع المسلمين. واتجه المسلمون صوب المساجد ليُشَبَّعُوا ظمأهم الروحي، وبدؤوا يتعلمون مبادئ دينهم وتعاليمه التي

غابت عنهم عشرات السنين.

كما أن تحرك المسلمين نحو دينهم مع أول فرصة أتاحت لهم يعطي مؤشراً بأن الوعي الديني والارتباط بالإسلام لم يختف من أوساطهم تماماً كما كان مخططاً لهم. وهذا يدل على أن الأصرة التي تربط بين الإسلام ومسلمي آسيا الوسطى لا زالت متينة. وأن جهود الشيوعيين لم تعط كل الثمار المرجوة. كما يؤكد أن الإسلام في هذه البقعة له جذور عميقة في النفوس. فقد لا يظهر واقعاً حياً في حياة شعوبها. لكن التغييرات التي مرت بالمنطقة، وتجربة الاستقلال والصحة التي ظهرت آثارها سريعاً أثبتت أنه يمتزج مع أرواح الناس وهويتهم. حتى بات من المستحيل أن يُفصل عنهم. وهي مسألة أثبتتها التاريخ بعد أن فشلت الشيوعية بكل آلياتها -وعلى مدى عقود- في أن تنزع الإسلام من نفوس الناس.

وفي الوقت الذي اتبعت فيه السلطات الشيوعية أسلوب العنف والتنكيل ضد أي قوة تبرز داخل الاتحاد السوفيتي ومنها النشاط الإسلامي. نجد أن أصحاب الطرق الصوفية تمكنوا من إدامة وجود بعض شعائر الإسلام في نفوس مسلمي الاتحاد

السوفيتي وآسيا الوسطى خاصة. فقد ابتعد الصوفية -الذين قاموا بدور كبير في مجريات الأحداث والدفاع عن الإسلام منذ عهد القيصرية- عن أعين السلطات ولجأوا بدينهم إلى الريف

حيث تضعف المراقبة والتتبع، ويدل على استمرار المتصوفة في حمل الإسلام والحفاظ عليه برونهم بصورة واضحة بعد عمليات الانفتاح التي قادها ميخائيل غورباتشوف، والتي تأكدت أكثر بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

القسم الأكبر من سكان آسيا الوسطى، تعيش تحت عتبة الفقر (رسمياً ٣٨٪ في طاجيكستان و ٨٤٪ في تركمانستان و ٣٤٪ في كازاخستان و ٥٠٪ في قيرغزستان و ٣٢٪ في أوزبكستان.

وفي كل الأحوال فإن استقلال دول آسيا الوسطى وخروجها من الرقبة السوفيتية في بداية التسعينيات من القرن الماضي دفع بها إلى وضع مساعد على عودة الروح والهوية الإسلامية باعتبارها المكون الأساس لتاريخ تلك الشعوب وثقافتها. وسوف يتزايد أثر الإسلام وفاعليته مع كل تحرك جديد من دول آسيا الوسطى الإسلامية في اتجاه ترسيخ استقلالها الحقيقي، مما يساعد بالضرورة على رجوعها التدريجي إلى محيطها وبيئتها الإسلامية.

كان استقلال دول آسيا الوسطى الإسلامية، هو المقدمة الضرورية الأولى لاستعادة المسلمين لهويتهم الثقافية.

#### ملامح الصحة المعاصرة بآسيا الوسطى:

الواقع أن الباحث في تاريخ الصحة الإسلامية الحديثة بآسيا الوسطى يجد صعوبة شديدة في رسم صورة دقيقة حيال معالم الصحة ومستقبلها، وما تزخر به من حركات إسلامية، والتحديات التي تواجهها وبداية ظهور ما يعرف باسم "الإسلام السياسي" بسبب قلة المتاح في هذا الباب من المعلومات والدراسات التي تتناول الموضوع بشمول وموضوعية. إلا أننا نستطيع أن نرصد بعضاً من هذه الملامح التي قد تساعدنا على وضع تصور مبدئي لحالة الصحة بهذه المنطقة الحيوية خلال العقدين الماضيين:-

كان استقلال دول آسيا الوسطى الإسلامية، هو المقدمة الضرورية الأولى لاستعادة المسلمين لهويتهم الثقافية. وبعد تفكك السلطة السوفيتية أصبح ظهور الحركات الإسلامية السياسية جزءاً طبيعياً من التغيير

الذي شهدته المنطقة، والذي أفرز تنوعاً وتعددية فكرية مَنكَّتْ الحركات الإسلامية شكلاً من أشكاله.

- ورغم حداثة الصحة الإسلامية في آسيا الوسطى وكونها لم تتشكل بعد في تيارات مكتملة واضحة المعالم سياسياً وفكرياً. إلا أنه قد أصبح جلياً أن الصحة والحركات الإسلامية السياسية في تلك الدول قد باتت مكوناً مؤثراً متنامياً في تكوين الدولة وبناء المجتمع.

ورغم الضعف النسبي للحركة الإسلامية في غالبية دول المنطقة إلا أنه ينتظر وعلى مدى غير بعيد أن تصبح أحد المساهمين الأساسيين في إعادة ترتيب النظام السياسي والاجتماعي في تلك البقعة: نظراً للإقبال الشعبي المتزايد على الإسلام.

ويبدو مستوى الالتزام الديني ومظاهره مختلفة في دول المنطقة. ففي طاجيكستان مثلاً نرى معدلاً مرتفعاً نسبياً لمظاهر الصحة: حيث الشعور الإسلامي الذاتي لدى الشعب الطاجيكي أقوى بكثير مما هو موجود لدى بقية شعوب آسيا الوسطى. ولتأثر طاجيكستان بما يدور حولها من الجمهوريات والدول المجاورة خاصة أفغانستان من صحة إسلامية، ومطالبة بالحكم الإسلامي.

ويتمثل كل ذلك في الاهتمام ببناء العديد من المساجد والمدارس الدينية وعودة الالتزام ببعض الشعائر الإسلامية التي كانت في طريقها للاندثار في العهد السوفيتي البائد. وتعتبر الحركة الإسلامية في طاجيكستان من أنشط وأقوى الحركات الإسلامية في آسيا الوسطى. وقد عبرت الحركة عن هذه القوة من خلال تفعيل الساحة السياسية وإثارتها ضد السلطات الشيوعية.

وهو نفس الحال تقريباً في أوزبكستان: بينما نجد الوضع مختلفاً في كازاخستان وقيرغستان وتركمستان. حيث الصحة تبدو إلى فترة قريبة ضعيفة: إذ إن السواد الأعظم من الناس في هذه الدول اختلط الإسلام لديها بالخرافات والتقاليد

والعادات. وغاب عنها كثير من أحكام الدين بصورة تتجاوز أحوالها، وإن اشترك الجميع في مساحة ليست هينة من الغياب عن الوعي الإسلامي العميق. - إن ظاهرة الصحة الإسلامية في مجملها بآسيا الوسطى هي أقرب إلى الضعف "النسبي" حتى الآن منها إلى الكيان الفعّال المؤثر في ترتيب الوضع السياسي والاجتماعي بدولها. وسبب هذا الضعف في الأساس حداثة نشأتها وارتباطها بدول لم تتكامل بعد ملامحها السياسية والاجتماعية فضلاً عن ضعف ثقافتها الخاصة. كما أن التضييق الحكومي ورفض السلطات الحاكمة الاعتراف بشرعية هذه الحركات صَيَّقَ الفرصة أمامها كي تتحرك، وتمارس أنشطتها الخاصة وفقرؤها المغايرة لغيرها من التيارات السياسية.

ومع تصاعد "الصحة الإسلامية" وبروز التيارات والحركات الإسلامية في آسيا الوسطى، ولاسيما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والفكر الشيوعي تزايد الاهتمام بدراسة هذه الظاهرة والبحث في ماهيتها وأفاقها وأسباب انتشارها في الساحة السياسية ورواج أفكارها وسط الشرائح الاجتماعية المختلفة.

وثمة وجهات نظر كثيرة تحاول تفسير صعود الصحة الإسلامية بآسيا الوسطى. منها التفسيرات الاقتصادية التي حاولت البرهنة على أن الأسباب القائمة وراء هذا الصعود ترتبط أساساً بالأزمة الاقتصادية التي تمر بها المنطقة. وبسبب فشل برامج التنمية فيها والضعف الاقتصادي بصفة عامة في هذه الدول بعد استقلالها.

أما التفسيرات السياسية فتربط هذا الصعود بسقوط وانتهاء الأيديولوجية التي سيطرت على المنطقة عشرات السنين. وفشلها في تحقيق الأهداف والطموحات التي تطلعت إليها وعدم قدرتها على الاستمرار في مجابهة الأفكار المغايرة. وتناست هذه التفسيرات المحرك الأهم المتمثل في القوة الذاتية للباعث الإسلامي وامتزاج الإسلام بهوية الشعوب ووجدانهم.

كان لحركة الجهاد في أفغانستان والشيخستان تأثيراً كبيراً في تعاضم هذه الصحة وتشكيل الكثير من ملامحها وخاصة طاجيكستان: فعلاقة الطاجيك وثيقة بالشعب الأفغاني الذي يُسَكِّل الطاجيك من مجموعته ٣٠ بالمائة.

أسهمت الحركة العلمية والمنح الدراسية من بعض المؤسسات الإسلامية بالدول العربية - والتي سمحت بها بعض دول المنطقة لفترة محدودة إبان الاستقلال- في إحياء بعض من معاني الإسلام وأحكامه المندثرة.

وقد انعكست ظروف المجتمعات والنظم الحاكمة لدول آسيا الوسطى على شكل ونمط الحركات الإسلامية. وتمثلت هذه الظروف في الأزمة الروحية التي كانت تعيشها الجمهوريات السوفيتية السابقة - بما فيها جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية - والأزمة الاجتماعية المتمثلة في انتشار حالات الفلق الاجتماعي والانحدار الخلقي فضلاً عن الواقع السياسي المتمثل في أنظمة رفعت شعارات الديمقراطية والتنمية والإصلاح الاقتصادي في بداية استقلال تلك الدول. ثم ما لبثت أن تراجعت ومارست التضييق وقمع الحريات وسحبت حيز الحرية الذي منحته للشعوب، فضلاً عن التدهور الاقتصادي الذي أصابها في مجملها. ودفعت تلك الظروف العديد من جماعات المعارضة للظهور على الساحة السياسية. كان من أبرزها الحركات الإسلامية التي سعت لطلب الإصلاح عن طريق التغيير السلمي والمشاركة السياسية والنشاط الديني، والبعض الآخر انتهج الأسلوب التصادمي: نتيجة للأسلوب العنيف الذي جابهتهم به الأنظمة بتلك الدول.

#### إطالة على الحركات الإسلامية بالمنطقة:

كان لدول آسيا الوسطى آمال كثيرة في أن تتحرر من أنقال الماضي. وتستعيد هويتها بعد عقود الكبت والاضطهاد. ولم يكن هناك أي تغيير في

سياسة الحكم يشير إلى قرب طي صفحة الماضي القاسية غير تغيرات سطحية لم تفلح في إقناع الشعوب بوجود تغير حقيقي. بل ظلت القيادات المتشعبة بحكم الفرد التسلطي تحكم البلاد دون الاكتراث بالشعب وإراداته ورغباته. فكانت الحاجة إلى حركات فاعلة تسعى لتحقيق طموح الجماهير تأخذ على عاتقها عملية بعث للهوية الدينية للشعوب تلك المنطقة. وعملية إصلاح للمسار الاجتماعي المتردي وإرغام السلطات الحاكمة على إجراء إصلاحات سياسية تنسجم وروح التطورات الهائلة الجارية في المنطقة.

ونشأت بعد استقلال دول آسيا الوسطى حركات وأحزاب إسلامية. حركتها العواطف الدينية. وبعد مواجهات مع الأنظمة الحاكمة ظهرت عدة حركات إسلامية أو ذات توجه إسلامي على خارطة تيارات الإسلام السياسي تحمل على كاهلها المشروع الإسلامي بصورة متكاملة أو جزئية. كان أهمها: حركة التوبة. حركة العدالة. حركة الألب. حركة الإسلام والديمقراطية. حركة الجبهة الشعبية لأوزبكستان. الحزب الديمقراطي الإسلامي. ما يعرف بالحركة الوهابية "وأبرز تعبيراتها جماعة أهل السنة". حزب التحرير. الحركة الإسلامية لأوزباكستان. وأخيراً حزب النهضة الإسلامي الأكثر شهرة والأوسع انتشاراً في دول آسيا الوسطى.

"ومعظم هذه الحركات حركات قطرية المنشأ تأسست واستمرت في العمل داخل دول بعينها. وحركات إقليمية المنشأ ظهرت كحركة واحدة وانتشرت بعد ذلك داخل دول مجاورة. وتعتبر كل هذه الحركات تقريباً قُطرية ما عدا الحركة الأخيرة "حزب النهضة الإسلامي". فهو نموذج للحركات الإقليمية. إن ما يجعل هذه الحركات تندرج تحت مسمى حركات إسلامية هو الهدف الذي تسعى إلى تحقيقه أكثر مما هو أسلوب تحقيق هذا الهدف. فما تسعى له هذه الحركات هو إعادة ربط الدين بكل من السياسة

والمجتمع. والعودة بالشعوب إلى هويتها الإسلامية فضلاً عن مواجهة العلمانية التي أرادت تحجيم نطاق الدين في الطقوس دون المعاملات والقوانين<sup>(١٢)</sup>. وليكتمل جزء هام من دراسة حال الصحة بأسيا الوسطى سنعرض لحركتين: تمثل إحداهما نموذج العمل السياسي الذي يسعى لتغيير الواقع عن طريق الأساليب السلمية في إطار القوانين الحاكمة للعملية السياسية في تلك الجمهوريات. وهي حزب النهضة الطاجيكي. والأخرى تمثل النموذج الذي اعتمد العمل المسلح أسلوباً للتغيير وهي الحركة الإسلامية لأوزباكستان.

### حزب النهضة الإسلامي:

حزب سياسي ذو اتجاه إسلامي. تأسس الحزب في عام ١٩٩٠ في مدينة استراخان الروسية. ويستمد الحزب برنامجه وأهدافه من مصادر الشريعة. ويشارك في الحياة السياسية للبلاد وهو أكثر الحركات الإسلامية في آسيا الوسطى شهرة. ويعود ذلك إلى شبكة علاقاته الإقليمية داخل المنطقة. وإلى حجم عضويته الكبير نسبياً مقارنة بالحركات الأخرى. ومنذ البدء ظهر الحزب بوصفه حزباً إسلامياً جعل مهمته الأساسية إرجاع الجمهور إلى عقيدتهم الإسلامية ونشر الوعي الديني. خاصة بين الشباب. وإقناع العامة والخاصة بأن الإسلام دين شامل وليس عقيدة فحسب. يهيمن على كل مناحي الحياة.

وتشكّل الحزب في البداية بوصفه حزباً لعموم مسلمي الاتحاد السوفييتي. غير أن تطور الأحداث اللاحقة قبيل وبعد انحلال الاتحاد السوفييتي جعله يتحول بالتدريج من حركة ذات طابع إقليمي إلى حركة ذات طابع محلي داخل كل دولة على حدة.

ومن بين دول آسيا الوسطى الخمس فإن حزب النهضة يركز نشاطه بشكل ملموس في طاجيكستان بصورة قوية. أما في أوزبكستان فقد قوبل حزب

النهضة منذ تأسيسه في ٢٦ يناير ١٩٩٢م - بالرغم من الطابع الوعظي والعام لأهدافه - برفض حكومي شديد. فوفقاً لقانون المنظمات العامة الصادر في فبراير ١٩٩١م فإن حزب النهضة يندرج تحت المنظمات غير المصرح لها بالنشاط بسبب طبيعته الدينية. في حين أن وجوده محدود في الدول الثلاث الأخرى.

أما عن أهداف الحزب فهو كحزب سياسي يهدف إلى الوصول إلى السلطة عن طريق المشاركة في الحياة السياسية. وكسب الرأي العام. وإقناع الجمهور ببرنامجه ومبادئه.

وعلى الرغم من نجاح حزب النهضة في حشد عضوية كبيرة نسبياً فإن الحزب سرعان ما وجد نفسه طرفاً في الحرب الأهلية الطاجيكية. والتي كلفته خسائر كبيرة. وواجه بعدها سياسات النظام الجديد في طاجيكستان التي ساهمت في الحد من نفوذه. وظهرت انشقاقات واتجاهات متباينة داخل الحزب ذاته كانت عاملاً هاماً وراء إضعاف قدرات الحزب التنظيمية.

ثم استطاع الحزب أن يعود إلى الساحة السياسية وأن يفتح فروعاً ومراكزه في جميع ولايات الجمهورية وكثير من نواحيها عام ١٩٩٧م: ليقوم بنشاطاته السياسية. ويشارك في الحياة السياسية للبلاد. وفق ما يسمح له قانون الأحزاب لجمهورية طاجيكستان. والحزب يتخذ غالباً موقفاً مؤيداً لسياسات الحكومة الخارجية والداخلية. فيما يتعلق ببرنامج الإصلاحات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية. وكذلك يأتي تأثير الحزب على الحياة السياسية للبلاد عن طريق أعضائه الذين يتولون بعض المراكز في الحكومة الطاجيكية.

ومن القضايا ذات الأولوية التي يهتم بها الحزب أيضاً التعاون مع سائر القوى السياسية الطاجيكية للوصول بطاجيكستان إلى الرقي والتقدم. وتثبيت موقع طاجيكستان في المجتمع الدولي كدولة متحضرة. والدفاع عن مصالح طاجيكستان العليا. ويعقد الحزب بشكل منظم مؤتمرات وندوات

سياسية ودينية في مقره أو في مركزه الثقافي. كما يشارك مشاركة فعالة في المؤتمرات العامة والتجمعات السياسية للبلاد<sup>(١٣)</sup>.

### حركة أوزبكستان الإسلامية:

أنشئت "حركة أوزبكستان الإسلامية" في عام ١٩٨٩م منتهجة العمل المسلح كوسيلة بهدف الإطاحة بالحكم القائم وإقامة دولة إسلامية في منطقة وسط آسيا. وخاصة في جمهورية أوزبكستان. وتختلف التقديرات بشأن عدد أعضاء الحركة. والتي

وفي المجمل العام فإن الحركات الإسلامية في آسيا الوسطى على اختلاف توجهاتها تشترك في محاولتها تنمية الوعي الديني وإزالة الرواسب الإلحادية لإقامة مجتمع إسلامي كخطوة لتأسيس دولة إسلامية.

أوصلها بعضهم إلى ٧ آلاف مقاتل<sup>(١٤)</sup>.

وتأسست هذه الحركة نهاية الثمانينات على ضفاف نهر فرغانة. وهي حركة ممنوعة بأوزبكستان وقد سبق لها أن شاركت في الحرب الأهلية التي دارت رحاها بأفغانستان قبل أن تنطوي إلى جانب حركة طالبان أيام حكمها.

واتخذت الحركة من وادي فرغانة - أكثر مناطق آسيا الوسطى خصوبة بالحركات الإسلامية - قاعدة انطلاق للجوء إلى العمل السري والانحياز إلى خيار القوة. بعد أن تعرضت لمنع ومحاصرة وتضييق شديد. وتأكدت أن الأنظمة اختارت العنف سبيلاً لمواجهةها. "وفي أوزبكستان سعى الحزب الشعبي الديمقراطي الأوزبكستاني (PDPU) فور وصوله إلى الحكم إلى منع أحزاب المعارضة بل سارع في عام ١٩٩٦م بإصدار قانون يمنع إقامة الأحزاب على أسس دينية



أو إثنية؛ الأمر الذي ردت عليه الحركة الإسلامية في أوزبكستان بالعمل المسلح. حيث قامت الحركة الإسلامية في أوزبكستان (IMU) بشن هجمات مسلحة عديدة ضد الحكم الأوزبكستاني في محاولة لإقامة دولة إسلامية مستقلة؛ رداً على محاولات النظام عزل الشعب عن الإسلام<sup>(١٥)</sup>.

"وفي ٤ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٥ أغسطس ١٩٩٩م أعلنت الحركة الإسلامية لأوزبكستان في بيان لها بدء القتال من أراضي قيرغستان ضد السلطة القائمة في أوزبكستان المتمثلة في كريموف ورجاله.. وأعلنت أن الهدف الأسمى من إعلان القتال هو إقامة الدولة الإسلامية. والدفاع عن الإسلام والمسلمين في أوزبكستان مما يتعرضون له من انتهاكات. ومن اغتيال العلماء والمفكرين"<sup>(١٦)</sup>. وفي أغسطس ٢٠٠٠م، شنت تشكيلات من الحركة الإسلامية الأوزبكية غارات مسلحة داخل قيرغزستان وأوزبكستان انطلاقاً من أراضي طاجكستان.

ودأبت السلطات الأوزبكية على اتهام حركة أوزبكستان الإسلامية بالمسؤولية عن العديد من التفجيرات التي أدخلت البلاد في سلسلة من العنف اتخذتها الحكومة ذريعة لإحكام قبضتها على أي نشاط إسلامي. وألقت المئات من المسلمين في المعتقلات بحجة مكافحة الإرهاب.

وفي المجمل العام فإن الحركات الإسلامية في آسيا الوسطى على اختلاف توجهاتها تشترك في محاولتها تنمية الوعي الديني وإزالة الرواسب الإلحادية لإقامة مجتمع إسلامي كخطوة لتأسيس دولة إسلامية. وعلى الرغم من المنهج السلمي الذي تبنته معظم الحركات، إلا أن بعضاً من هذه الجماعات قد انتهج سلوكاً تصادميةً عنيفاً ضد السلطات القائمة اعتقاداً في جدوى العمل المسلح كوسيلة للتغيير مدفوعةً بسياسة التضييق والمحاصرة الذي انتهجته الأنظمة في هذه المنطقة ضد الحركات الإسلامية حتى السلمية منها في غالب الأحيان. وضد كل من

يظهر تمسكاً بالإسلام، وإن لم يكن له انتماء تنظيمي لأي من الحركات والتيارات الإسلامية.

### علاقة الصحة الإسلامية بالشعوب في آسيا الوسطى:

اكتسبت الصحة الإسلامية انتشاراً جيداً في جمهوريات آسيا الوسطى، واستفادت شيئاً فشيئاً من فشل الأيديولوجيات القائمة، والتي كانت تجتذب قطاعاً واسعاً من الشباب المسلم، فضلاً عن النزعة الفطرية للتدين والإقبال على الإسلام لدى شعوب آسيا الوسطى والتي ساعدت إلى حد ما في إيجاد نوع من الإحياء الإسلامي في إطار أوسع من سابقه إبان الحقبة السوفيتية. وبرغم ذلك فإن القاعدة الجماهيرية العريضة في المنطقة لا تزال بعيدة عن فهم أطروحات الصحة بالنسبة للإسلام بالمعنى "الشامل" للكلمة كما تقدمه بعض الحركات الإسلامية؛ وذلك لجهلها بكثير من أحكام الإسلام والنتائج عن عشرات السنين تعرضت خلالها الشخصية المسلمة في آسيا الوسطى للتدمير والتشويه.

كذلك فإن السياسات المعادية التي تنتهجها النظم الحاكمة تجاه الصحة وأفكارها تجعل من الاقتراب من أطروحات الصحة ومشاريعها ومحاولة المشاركة فيها خطوة مليئة بالمخاطر لا يستطيع الكثيرون الإقدام عليها رغم قبولهم الفطري لكثير من تلك الأطروحات.

كما أن الدور الذي تلعبه القوى الإقليمية المحيطة بدول آسيا الوسطى يشير إلى أن الحركات الإسلامية بالمنطقة أصبحت تمثل إزعاجاً وخطراً متنامياً لتلك القوى. ويظهر ذلك بوضوح من الاتفاق المعلن بين قوى المنطقة -وعلى رأسها الصين والهند وروسيا- في محاربة المد الإسلامي. ومن المؤكد أن وعي الجماهير بهذه الحركات وتفاعلها مع برامجها وأفكارها تؤثر فيه عوامل، أبرزها وسائل الإعلام المحلية والدولية والتي تقدم صورة مشوهة عن أهداف تلك الحركات وأنشطتها.

فضلاً عن أن الطابع السري لمعظم الحركات

الإسلامية في آسيا الوسطى قد حرّمها من الاتصال بالقطاع الجماهيري العريض بصورة أكثر فاعلية. لكل هذه العوامل فإن منطقة آسيا الوسطى على الرغم من قربها من أفغانستان المصنفة كبقوة أصولية فاعلة إلا أنها لا تزال تحتاج لمجهودات ضخمة حتى تتمكن الحركات الإسلامية فيها من أن تصل بمبادئها وأهدافها إلى أفهام مختلف قطاعات المسلمين في تلك الشعوب والامتزاج بها بطريقة تحمل على الالتزام والمشاركة في حمل تلك المشاريع التي تقدمها الصحة لشعوب المنطقة.

### التضييق الحكومي على الصحة والحركات الإسلامية:

كان من المنتظر بعد انهيار الاتحاد السوفيتي أن تقوم السلطات بجمهوريات آسيا الوسطى بتروسيخ دعائم وأسس الدول الناشئة آخذة في اعتبارها المكونات الحقيقية لهوية وثقافة شعوب المنطقة وهو تأسيس يُفترض استناده إلى المكونات الواقعية والجذور التاريخية الحقيقية لهذه الدول. وبالأخص هويتها وثقافتها الإسلامية.

إلا أن الطبقة الحاكمة في جمهوريات آسيا الوسطى

لم تستند في الواقع الأعلى الهوية والتقاليد الروسية السياسية (القيصرية والسوفيتية) هُملت الهوية الإسلامية المتجذرة في شعوب المنطقة بل ومُحاصرة لأي نشاط من شأنه إحياء تلك الهوية والمساعدة في استعادتها. وظهر ذلك بقوة في تروسيخ أسس وتقاليد

الحكم الفردي ومحاربة المعارضة، ومحاولة تصفية مختلف أشكالها ومستوياتها -وخاصة الإسلامية منها- بسبب الخوف من الوعي الديني وإقبال

شعوب المنطقة على تعلم الإسلام. "وليس مصادفة أن الطبقة الحاكمة بتلك الدول إلى جانب "الأعداء التاريخيين" للصحة في المنطقة؛ إذ نجد هاتفتق مع السلطة الروسية وتتعاون مع الهند وتؤيد الصين في مخاوفهم ومحاربتهم لما يسمى "بالإرهاب الإسلامي". بينما لا يتخوف أي منهم من التطرف والإرهاب الفعلي للأرثوذكسية الروسية والهندوسية والبوذية في مواقفهم من الإسلام والمسلمين"<sup>(١٧)</sup>.

وبدأت بعد انحلال الاتحاد السوفيتي واستقلال الدول الإسلامية في آسيا الوسطى. مرحلة عنيفة من الصدام بين السلطات -الجديدة شكلاً القديمة مضموناً- وبين الحركات الإسلامية. وبرغم من اختلاف صور التعامل الحكومي مع الصحة والحركات الإسلامية من دولة لأخرى بآسيا الوسطى، إلا أن حقيقة العلاقة بقيت كما سابقتها في الحقبة السوفيتية بمعنى التصدي له ولوقمعه بأساليب متنوعة ولم يستجد في تلك العلاقة غير استحداث أساليب جديدة للقضاء عليها.

فبالمقارنة مع السياسات السوفيتية تجاه الإسلام

يظهر أن حكومات جمهوريات آسيا الوسطى قد ورثت وطورت عقب استقلالها سياسات شبيهة بتلك التي اتبعتها موسكو من قبل. فالتضييق على الحركات الإسلامية وإعلان عدم شرعيتها وملاحقة عناصرها هو استمرار لنفس النهج القديم إبان الحكم السوفيتي الذي اعتبر كل مظاهر نمو الوعي الإسلامي وتساعد الصحة مصدر تهديد يحتم اقتلعه من جذوره.

الطبقة الحاكمة في جمهوريات آسيا الوسطى لم تستند في الواقع الأعلى الهوية والتقاليد الروسية السياسية (القيصرية والسوفيتية) هُملت الهوية الإسلامية المتجذرة في شعوب المنطقة بل ومُحاصرة لأي نشاط من شأنه إحياء تلك الهوية والمساعدة في استعادتها.

فوقف الزعماء السياسيون الرسميون يحملون تاريخهم الشيوعي القديم، وولاءاتهم الغربية الحديثة، وكل ما فعلوه لتجميل سياساتهم أمام شعوبهم هو الإقرار بأمر الدين، "دين" لا يحرك ساكناً، مُحَاَصِرٌ داخل المساجد، لا يُسَمِّحُ له بالخروج خارج جدرانها ولا التحرك داخل المجتمعات، دين لا علاقة له بالسياسة ولا يتجاوز مجموعة من الشعائر المتوارثة.

واتبعت دول المنطقة -خاصة حكومة أوزبكستان- خطوات عدة من أجل ضرب الصحة والقضاء على تحركاتها السياسية والتثقيفية، كان من أهمها إصدار قوانين تمنع إقامة الأحزاب على أسس دينية فضلاً عن حملات القمع والتنكيل التي لا تنتهي ضد كوادر الحركات الإسلامية مع عدم التفريق بين المسلمين الذي يمارسون شعائر دينهم دون أن يكون لهم أي ارتباط بالأحزاب أو الحركات الإسلامية وبين الإسلاميين ممن ينتمون لمختلف تيارات الصحة، الأمر الذي استثار قطاعاً كبيراً من الحركات الإسلامية ورجَّح بهم لانتهاج أسلوب العمل المسلح، وبدت بعض الأنظمة بالمنطقة أكثر استبداداً من النظام السوفييتي الاستاليني؛ خاصة نظام كاريموف بأوزباكستان الذي اعتاد أن يصنف كل المسلمين الذين يعارضون سياساته بـ "الوهابيين" في محاولة منه لتصويرهم على أنهم أصوليون متطرفون.

وقد شدَّد كريموف حملته على الإسلاميين بالعديد من الخطوات؛ بدأها بخطاب متلفز بالقول: "المتطرفون المسلمون يجب رميهم بالرصاص عند جباههم، وإذا لم تستطيعوا أنتم القيام بذلك وعجزتم عنه أقوم بنفسي فأرميهم بالرصاص، وقد لَبَّكُ الأجهزة الأمنية لكريموف نداءه بالقيام بحملة اعتقالات طالبت أكثر من ٨ آلاف مسلم في وادي فرغانة، وقامت بإغلاق أكثر من ٥ مساجد وتحويلها إلى إسطبلات خيل ومكتبات عامة يقرأ فيها الشعب الأوزبكي المجلات الداعرة والمؤلفات العلمانية (١٨).

والحقيقة أن كثيراً من منظمات حقوق الإنسان -الدولية والمحلية المختلفة، وكل الأحزاب الديمقراطية المعارضة اجتمعت على اعتبار أن كريموف هو المسؤول عن حالة العنف التي تجتاح أوزبكستان، وأنه هو السبب في نشوء معارضة إسلامية مسلحة، بسبب سياساته التصادمية العنيفة التي طالبت الآلاف من المعارضين وأسرهم، ويحسبون أنه لو فتح المجال للديمقراطية وحرية التعبير لَمَا نشأت المعارضة المسلحة،" يقول السكرتير الأول لمنظمة حقوق الإنسان في أوزبكستان طالب يعقوبوف: "اضطر الناس أن يحملوا السلاح للدفاع عن حقوقهم وليبقوا أحياء" (١٩).

وفضلاً عن حملات التنكيل التي طالبت الحركات الإسلامية حتى السلمية منها بالمنطقة فقامت حركتان حكومية أوزبكستان -في نهجها القاضي بالتضييق على الحركة الإسلامية- أسلوب التفجيرات التي طالبت العديد من المناطق الحكومية، وأصابت المدنيين وأطلقت حملات إعلامية دولية مكثفة مُحَمَّلَةٌ لمسؤولية تلك التفجيرات للحركة الإسلامية المسلحة؛ متخذة من ذلك ذريعة جديدة لتشديد قبضتها على الحركات الإسلامية؛ ومبررة الأسلوب القمعي الذي تنتهجه.

ويؤكد المراقبون الدوليون والمحليون أنَّ حكومة كريموف هي التي دَبَّرت تلك التفجيرات؛ وإِنَّ من الأدلة التي تشير إلى أنَّ هذه اللعبة الدامية كان وراءها قوات خدمة الأمن (المباحث) أنَّه لم يمضِ أحد من رجال الحكومة في تلك التفجيرات التي وقع بعضها في آن واحد في أماكن مختلفة من قلب العاصمة، ولم ينتقد كريموف لا خدمة الأمن القومي ولا وزارة الداخلية على تفریطهم في تلافى تلك التفجيرات قبل حدوثها، بل على العكس من ذلك قلَّد عدداً من منسوبي وزارة الداخلية أوسمة ونياشين!

وقد ساهمت الحملة الأمريكية ضد ما يسمى "الإرهاب" بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في توجيه حكومات المنطقة أكثر نحو مزيد من

التضييق على القوى الإسلامية وزيادة الاعتقالات بتهمة (الإرهاب) والانتماء (إلى القاعدة وابن لادن)، ودخلت العديد من دول المنطقة تحت النفوذ الأمريكي الهادف لتطويق الحركة الإسلامية وضرب الصحة الناشئة بالمنطقة والتي تعتبرها تهديداً كبيراً لمصالحها، ومن هنا كان صمت واشنطن عما يجري من انتهاكات عديدة لحقوق الإنسان من حملات اعتقال وتعذيب أدانتها العديد من المنظمات الحقوقية، مما دعا منظمات حقوقية أمريكية لانتقاد حكومتهم التي اضطرت لتجميد جزء من معوناتها إلى الحكومة الأوزبكية لحفظ ماء الوجه بدعوى أن أوزبكستان لم تقم بالإصلاحات الدستورية والديمقراطية المطلوبة منها!!

ووفقاً لإحصاءات منظمة "الدفاع عن حقوق الإنسان في آسيا الوسطى التابعة لمجموعة هلسنكي لحقوق الإنسان في موسكو فقد زاد عدد المعتقلين في أوزبكستان عن ٥٠ ألف معتقل، وبرغم ذلك أعلن ريتشارد باوتشير (ناطق باسم وزارة الخارجية الأمريكية) أن أوزبكستان نجحت في تحقيق بعض التقدم على صعيد انتهاكات حقوق الإنسان، إلا أنها خيبت أمل واشنطن فيما يتعلق بالإصلاحات الديمقراطية والاقتصادية (٢٠)!!

وقد اعترف كريموف نفسه في البرلمان الأوزبكي بالدعم الذي تقدمه له واشنطن؛ بل زاد على ذلك بالقول: "اعلموا أن ورائي أمريكا وبوش، وهم لا يعاؤون بمثل هذه المذابح؛ لأنه لو كان الأمريكيان ضد هذه المذابح لما قدموا لنا هذه المساعدات المالية السنوية، وقد لاحظت ذلك عند زيارتي لواشنطن؛ فقد ثَمَّنَ الأمريكيون جهدي وتضحياتي في الحرب على الإرهاب، وقدموا لي جائزة سخية من أجل تصفيتي وسحقي لأصحاب اللحى!!" بل إن كريموف طمأن أعضاء البرلمان بالقول: "لا تنزعجوا عندما تجدون مسؤولين أمريكيين ينتقدون سجلنا في مجال حقوق الإنسان؛ لأن هدف أمريكا من وراء ذلك إظهار

مراعاتها للقوانين الديمقراطية أمام العالم" (٢١)!!، وفي تقرير صادر تحت عنوان: "خلق أعداء للدولة: الاضطهاد الديني في أوزبكستان"، توضح منظمة هيومن رايتس ووتش بالتفصيل ما يتعرض له من وصفتهم بـ "المنشقين" المسلمين من الاعتقال والتعذيب في إطار حملة مستمرة أدت إلى حبس ما يقدر بنحو ٧٠٠٠ منهم، وقالت ريتشل دنبر، المديرية التنفيذية بالنيابة لقسم أوروبا وآسيا الوسطى في منظمة هيومن رايتس ووتش: "إن الحكومة الأوزبكية

رغم أن روسيا تخشى من تزايد نفوذ الصين في آسيا الوسطى إلا أن هذا لا يمنعها من التعاون معها للتصدي بقوة للهدد الإسلامي في المنطقة.

تقوم بحملة لرحمة فيها ولا هوادة ضد "المنشقين" المسلمين المسالمين؛ ويظهر مدى وحشية العمليات التي تجري ضد المسلمين المستقلين بجلاء أنها تأتي في إطار حملة محكمة التنسيق والتنظيم من الاضطهاد الديني ".... وتضيف دنبر "إن أوزبكستان حليف وثيق للولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية القوية، ولكن لا يمكنها التستر وراء الحرب العالمية على الإرهاب لتبرير القمع الديني" (٢٢).

وعلاوة على القمع واسع النطاق للحركة المعارضة عموماً والإسلامية خصوصاً، فإن السلطات في دول المنطقة بدأت تسعى لإقامة تحالف إقليمي ضد الحركات الإسلامية، وفي مقدمتها روسيا أكبر قوة عسكرية في المنطقة، وهو التعاون الذي اتسع فيما بعد ليشمل الصين، ورغم أن روسيا تخشى من تزايد نفوذ الصين في آسيا الوسطى إلا أن هذا لا يمنعها من التعاون معها للتصدي بقوة للهدد الإسلامي في المنطقة.

"وفي هذا الإطار فقد أقرَّ زعماء ست دول آسيوية

في (قمة شنغهاي بالصين في ١٥-٦-٢٠٠١) اتفاقية تهدف للقضاء على الحركات الإسلامية في آسيا الوسطى، وتأسيس مركز مشترك لمكافحة "الإرهاب" في العاصمة القيرغيزية بشكيك<sup>(٢٣)</sup>.

### الصحة الإسلامية بين تحديات الداخل وضغوط الخارج:

من المعلوم أن الظواهر الاجتماعية تتأثر وتتطور بفعل محركين أساسيين، هما: العوامل الداخلية التي تعتمل داخلها، والعوامل الخارجية التي تتعامل معها وتؤثر فيها، ولو نظرنا إلى البيئة التي تنشط بها الصحة الإسلامية بآسيا الوسطى لوجدناها أسيرة لمجموعة من المؤثرات التي تعتمل بداخلها فضلاً عما استجد من متغيرات ضخمة تضغط على الصحة من الخارج، وتدفعها بقوة إلى مرحلة تاريخية جديدة، لها ظروف خاصة، ولها متطلبات أخرى غير تلك التي كانت سائدة إلى فترة قريبة، فالحركة الإسلامية بآسيا الوسطى التي يُعول عليها مهمة الإصلاح والتغيير والبعث، ويُرَاهن عليها في عبور أزمة المنطقة الحضارية-لمواجهة المشاريع التغريبية من ناحية واستبعاد الأنظمة المتسلطة من ناحية أخرى- تواجه مجموعة من التحديات الداخلية والخارجية التي تعيقها وتقعدّها إلى حد كبير عن القيام بهذا الدور المنوط بها وتؤخر إتمام مشاريعها الإصلاحية.

### التحديات الداخلية:

#### أولاً: السياسات الحكومية لوأد الصحة:

لقد أدى الانتشار "النسبي غير المتوقع" للصحة الإسلامية بين شعوب آسيا الوسطى، واستجابة العديد من شرائح المجتمعات الإسلامية لنداء الدعاة والعاملين للإسلام للعودة إلى الدين والالتزام بمبادئه وإعادة الاعتبار للهوية الإسلامية، فضلاً عما تحمله الصحة بين جنباتها من مشاريع إصلاحية

وتثقيفية تختلف كلياً عن السياسات والتوجهات للطبقة الحاكمة بتلك المنطقة، كل ذلك أدى -برغم محدودية تأثيرها الحالي- إلى اعتبار الصحة ظاهرة خطيرة تسعى إلى تغيير المجتمع وتتشكلها بطريقة تتعارض مع الأجندة الخاصة بالأنظمة الحاكمة مما أدخل الصحة نتيجة لذلك في صراع مبكر مع معظم تلك الأنظمة الحاكمة التي أسرعت باتخاذ بعض التدابير لوأد الصحة والتضييق عليها؛ فاعتمدت لذلك سياسات عدة كان من أهمها:

#### سياسة تجفيف المنابع:-

لم تكتف معظم الأنظمة بمنطقة آسيا الوسطى في القضاء على مظاهر الصحة والحركات الإسلامية بسياسة القمع والتنكيل -والتي أشرنا إليها في موضع سابق- والتي اعتمدتها ضد كل من يُظْهَر توجهاً إسلامياً بغض النظر عن مفردات المشروع الإصلاحية الذي يحمله وطريقة التغيير التي ينتهجها فأضافت إلى ذلك السياسة المعروفة باسم تجفيف المنابع.

ولم تكن "تجفيف المنابع" سياسة جديدة فتفتت عنها عقول النُخب السياسية في تلك الدول لكنها سياسة لها جذور تاريخية تمثلت في تجربة الحزب الشيوعي السوفييتي في بدايات هذا القرن عندما قرر مُتَطَرِّوه القضاء على الدين الإسلامي؛ لأنه يمثل عقبة ضد هيمنة الشيوعية على البلاد التي حكمتها.

"ويحدثنا كتاب (المسلمون في الاتحاد السوفييتي) الذي ألفه الفرنسيان (بينغسن ولمرسييه) -وصدرت طبعته الإنجليزية في عام ١٩٦٧م- عن صورة تاريخية للتجربة الأم لسياسة "تجفيف المنابع" التي رسمها المفكر الشيوعي من أصل مسلم "سلطان غاليف" للحزب الشيوعي، وقام الحزب بتنفيذها منذ بداية سيطرته على المنطقة الإسلامية في آسيا الوسطى وبلاد القوقاز.

ورسم "سلطان غاليف" سياسة النفس الطويل

للقضاء على الإسلام، وأشار إلى الخطوط العريضة في سياسته تلك في مقال نشره في مجلة (جيزن) عام ١٩٢٠م، ومن ملامح هذه السياسة وجوب "إبعاد المسلمين عن دينهم بمراحل تدريجية لا تثير صداماً أو مقاومة، وفوق ذلك كان على الدولة الشيوعية أن تبعد عن نفسها الشبهات -وهي تشن حرباً على الإسلام- أنها إنما تفعل ذلك استمراراً للحملة التي شنها عليهم المبشرون المسيحيون في القرن التاسع عشر..." وبدأت الحكومة الشيوعية تنفيذ سياسة "سلطان غاليف" لتجفيف منابع الإسلام بشكل غير مباشر، وذلك بالقضاء على المؤسسات الإسلامية الثلاث، وهي أولاً: الأوقاف التي كانت تضمن القوة الاقتصادية لعلماء الدين، ثانياً: المحاكم الشرعية التي تمنح الإسلام السيطرة على حياة المسلمين الخاصة، وثالثاً: التعليم الديني الإسلامي، وقد شُنت هذه الحملات الثلاث في وقت واحد تقريباً<sup>(٢٤)</sup>.

ولم يكتف الحزب الشيوعي السوفييتي بالقضاء على المؤسسات الإسلامية الثلاث، ولكنه في الوقت نفسه قام بحملة دعائية ضخمة ضد علماء الدين والخط من أقدارهم.

ثم بلغت السياسة الخبيثة التي لجأت إليها الحكومة في مكافحة الدين هدفها من غير أن تثير أية مقاومة شعبية، وذلك بتبنيها الكفاح بغية تغيير ملامح الإسلام وجعله "عصرياً"، وتطبيقه على العالم الحديث، وبعد أن نجحت هذه السياسة في إضعاف تأثير الإسلام أصبح بالإمكان البدء بتنفيذ المرحلة التالية وهي الكفاح في سبيل إقامة مجتمع شيوعي بعيد كل البعد عن الأفكار الدينية، وقد بدأ تطبيق هذه المرحلة بعنف منذ البدء وذلك بحملة مجابهة عنيفة على الإسلام<sup>(٢٤)</sup>.

لقد انتهت مرحلة تاريخية خطيرة في جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، وبدأت مرحلة جديدة من المواجهة والملاحقة والتضييق اتبعت فيها الأنظمة "الجديدة" بالمنطقة نفس السياسات الخاصة بتجفيف منابع الصحة فاستُبدلت "الإدارة الدينية

لمسلمي آسيا الوسطى وكازخستان" والتي كانت تشرف على عموم مسلمي آسيا الوسطى بإدارات قُطرية لا تختلف كثيراً عن سابقتها إلا في اسمها، وكل تصرفاتها الصغيرة والكبيرة المتعلقة بنشاطها في الداخل والخارج ما هي إلا تعبير عن إرادة الحكومات، واستكمالاً لمنهاج تجفيف المنابع قامت بعض دول المنطقة بإغلاق عشرات المساجد والمدارس الإسلامية بدعوى محاربة المتطرفين خوفاً من تحولها لمراكز لنشر أفكار الصحة، وتحولت بعض المساجد لمكتبات ومقاهٍ ومستوصفات ونوادٍ وأغلقت الكثير من حلقات تحفيظ القرآن التي كانت ملحقة بالمساجد في السابق، وحتى تكتمل سياسة تجفيف المنابع استدعت سلطات بعض دول المنطقة -بقرار مفاجئ- جميع الطلاب الذين يدرسون في بلاد إسلامية، سواء كانت دراستهم في العلوم الدينية أو العلوم المدنية.

#### سياسة البدائل للتيار السياسي للإسلام:

بالرغم من أن السياسة السابقة لتجفيف المنابع نجحت إلى حد بعيد في تغييب الكثير من معاني وشعائر الإسلام من حياة الشعوب في تلك المنطقة إلا أنها لم تتمكن من القضاء على النزعة الدينية والروح الإسلامية التي عرفت بها شعوب المنطقة؛ ولذا كان لزاماً من طرح بدائل من قبل الدولة للتيار "الحركي" للإسلام أو ما يعرف بـ "الإسلام السياسي" الذي تقدمه الصحة كبديل أيديولوجي يجعل من هيمنة الإسلام بمعناه الشامل على مناحي الحياة الحلّ الوحيد لمشاكل الشعوب بتلك المنطقة، ومن هنا؛ فإن جانباً من ضعف الحركات الإسلامية في آسيا الوسطى يعود إلى المنافسة من تلك البدائل التي تحمل مفاهيم قاصرة "مشوهة" للإسلام، وجئَتْ الحكومات بالمنطقة لخدمة أهدافها من خلال منظورين آخرين للإسلام تدعمهما الأنظمة القائمة وهما ما عرفا باسم "الإسلام الرسمي أو الحكومي" و "الإسلام الشعبي".

## الإسلام الرسمي:

خلفاً لموقف الحركات الإسلامية لمفهوم الإسلام الشامل. والذي يدعو إلى مزج الدين بالسياسة وبكل مناحي الحياة. فإن ما عُرف باسم "الإسلام الرسمي" يشير إلى منظور جديد "للإسلام" يحصر النشاط الإسلامي في الإدارات الرسمية التي تُحدّد سياساتها وخطتها بما يتوافق مع الحكومات وبما لا يتصادم مع توجهاتها.

فمع سقوط الماركسية -على الأقل من الناحية الرسمية- سقطت مبررات التنكيل بالإسلام وأصبح لازماً على السلطات الرسمية في الجمهوريات الخمس أن تولي الإسلام رعايتها "ظاهرياً" وأن تتبنى سياسات تبدو متوافقة معه. هذا التحول الظاهري نحو التوفيق حتمته أيضاً حاجة تلك الدول إلى إيجاد بديل ديني قادر على المنافسة مع التيار السياسي للإسلام واستيعاب الناشطين دينياً في مؤسسات تشرف عليها الدولة بعيداً عن الحركات الإسلامية.

وهذا البديل "الحكومي" مثله المؤسسات الرسمية من إدارات دينية ودور الإفتاء الرسمية التي أنشأتها حكومات الدول الخمس بعد استقلالها وأولتها اهتماماً ملموساً. ولم يكن الدافع في ذلك خدمة أهداف الدعوة الإسلامية وإحياء الهوية الدينية للشعوب المنطقة. بل كان هدفه إحكام قبضة الدولة على أنشطة الحركات والقيادات الدينية النشطة وتحجيم دور الحركات الإسلامية وإضعاف شرعيتها. ويمثل هذا البديل أيضاً رجال الدين المعينين من قبل الدولة والمدعومين من أجهزتها المنفذين لسياساتها. وبحكم عمل هؤلاء في العلن فإن فرصتهم في جذب عامة المسلمين المتعطشين إلى العودة إلى الإسلام بعد سقوط الشيوعية أسهل بكثير من أنصار التيار السياسي للإسلام. والذين فرضت عليهم المجابهة مع الجهاز الأمني العمل سراً. مما أدى إلى تناقص -إن لم يكن انعدام- فرصتهم في الوصول إلى قطاعات جماهيرية

واسعة (٢٥). فضلاً عن تخوف الكثيرين من الاقتراب منهم والتعرف على أفكارهم في ظل التشويه الذي مارسته الأجهزة الإعلامية ضدهم.

-أما ما عرف باسم "الإسلام الشعبي" فهو صورة أخرى تدعمها الدولة بغرض سحب البساط من تحت أقدام الحركات الإسلامية.

ويطرح هذا الاتجاه الإسلام كجملة من الإنجازات الفنية والمعمارية والثقافية الرائعة الواجب تسليط الضوء عليها ليس بغرض الإحياء الديني بقدر ما هو لغرض الإحياء القومي والاستفادة من ذلك في إضفاء الشرعية الدينية على النظم الحاكمة لهذه المنطقة. فما يسمى الإسلام "الشعبي" يشير إلى الطقوس الثقافية والعبادية التي يهتم بها المجتمع. والذي يتيح مساحة شكلية ضيقة ومتنفساً وهمياً لإشباع النهيم الروحي.

ومن هنا اهتمت حكومات بعض دول المنطقة بعملية إحياء بعض المناسبات والاحتفالات الدينية وتجديد بعض المزارات والأضرحة مثل ضريح السلطان سنجر في تركمانستان وضحريخ البخاري في أوزبكستان.

إن تقديم الإسلام في شكل "شعبي" يمجّد الماضي هو وسيلة أخرى إلى جانب ما يسمى الإسلام الرسمي لإحكام القبضة الأيديولوجية للنظم الحاكمة في آسيا الوسطى.

فالإسلام "الرسمي" موجه إلى القيادات والرموز الدينية. أما الإسلام "الشعبي" فهو موجه إلى القطاع العريض من المجتمع. وهو ربما يعد أكثر نجاحاً في احتواء نشاط الحركات الإسلامية: لأنه يقدم الإسلام للجمهور في شكل صور مقبولة سهلة. أكثر من تلك المفاهيم التي تقدمها الحركات الإسلامية: علاوة على ذلك "فالإسلام الشعبي" تؤيده الدولة وتشجعه وهو ما يعني للمواطنين التزاماً "آمناً" بالدين.

## ثانياً: الثقافة الإلحادية الموروثة من الحقبة السوفيتية لدى شعوب المنطقة:

عامل آخر يمثل تحدياً جذرياً للصحة الإسلامية ويساعد في تفسير الضعف النسبي للحركات الإسلامية في آسيا الوسطى يتعلق بالثقافة الإلحادية الموروثة من الحقبة السوفيتية.

إذ كان لطبيعة النظام القيصري ثم الشيوعي السوفيتي تأثيراتهما الجذرية على شعوب هذه المناطق المسلمة التي صُمّت قسراً: تارة تحت هيمنة أرثوذكسية روسية. وتارة تحت هيمنة شيوعية-سوفيتية. مما جعل الإسلام في نظر قطاع كبير من الناس يتحول إلى كلمة يرددونها سراً (الشهادة) ليواجهوا بها الموت دون أن يفقه معظمهم المعنى الحقيقي للكلمة. وهذا الفريق -رغم اعتزازه بدينه- لا يعرفون شيئاً من الحلال أو الحرام. ولا يدركون الأحكام: لقد غاب الإسلام عن الممارسة اليومية للناس بآسيا الوسطى. واختلطت به الخرافات والتقاليد المحلية وتركزت ممارساتهم الدينية على الطقوس كالزواج والدفن والختان على النحو الذي

يميزهم ثقافياً عن غيرهم من القوميات. وهو إسلام ذاتي جداً لا تستطيع الشرطة أن تعرف عنه شيئاً والمسلمون يعيشون بعد ذلك مثل ما يعيش بقية الناس. يرددون شعاراتهم ويفعلون مثلما يفعل الآخرون بعيداً عن أحكام الدين (٢١).

ولم تكن نتائج تلك الحملة الشيوعية لتتلاشى بمجرد إعلان الاستقلال. والانسلاخ عن الدولة الكبرى -الاتحاد السوفيتي- والخروج من دائرة الحكم والأفكار المزروعة في نفوس شعوب الجمهوريات الإسلامية كافة لتزول بسهولة بعد تلك

العقود التي تعرّض المسلمون خلالها لمحاولات طمس الهوية. وإزالة كل ما يتعلق بالدين والمعتقدات من النفوس.

لقد تركت الشيوعية آثاراً فكرية واجتماعية وثقافية أثرت على التوجه الديني لدى الشعوب. خاصة في المدن.

## ومن آثار الفكر الشيوعي:

تخوف قطاعات من شعوب المنطقة من العودة إلى الإسلام؛ وذلك لما تعرض له هؤلاء من خلال برامج التربية والتعليم حول الإسلام. حيث تلقوا خلال سنوات تعليمهم معلومات مشوهة عن الإسلام. تصفه بالخرافة والظلامية. والتخلف. والإرهاب وغير ذلك. ولهذا يطالب هؤلاء اليوم بالحق بركب العلمانية. والحضارة الغربية. وعدم التفكير بالانتساب إلى الإسلام وأهله.

هذا التغيب المتعمد للهوية الإسلامية جعل أطروحات الحركات الإسلامية تبدو كطلاسم يصعب على قطاعات واسعة من الشعوب فهمها والتفاعل معها؛ لذلك فإن التحدي الذي تواجهه الحركات الإسلامية في هذه الدول ليس فقط القدرة على اجتياز الصدام الأمني والسياسي مع الدولة. بل وأيضاً القدرة على التصحيح الثقافي الهادئ للتصورات الشعبية السائدة والقضاء على الخرافات التي التصقت في أذهان الناس مرتدية لباس الدين.

## ثالثاً: ضعف إمكانات الصحة:

إن المتأمل لواقع الصحة الإسلامية اليوم بآسيا الوسطى لن يجد صعوبة تُذكر في الإشارة إلى ضعف إمكانات الصحة المادية والمعنوية في ظل غياب الخبرة والتجارب السياسية والدعوية العميقة: إذ إن

الصحة الإسلامية في آسيا الوسطى هي ظاهرة ناشئة لم تتكامل بعد في تيارات واضحة المعالم سياسياً وفكرياً. ولم تتحول بعد إلى مؤثر كامل في تشكيل الهوية الاجتماعية والسياسية لدول آسيا الوسطى. أما وجودها السياسي بهيئة أحزاب وحركات، فإن ذلك لا يعني أنها أصبحت عنصراً أساسياً في العملية السياسية يملك خططاً واضحة وبرامج تغييرية عملية، وإنما يشير إلى الملامح الأولية لهذا التحول المنتظر. كما أن غالب الحركات الإسلامية في دول آسيا

الوسطى حرمت من خبرات تراكمية عديدة على الصعيدين السياسي والاجتماعي. خاصة بسبب حرمانها من ممارسات افتقدتها نتيجة تبنيها الطابع السري في العمل، والذي فرضته عليها بيئة الحركة التي تعمل بداخلها. وعلى الرغم من تنوع الحركات الإسلامية داخل الصحة بآسيا الوسطى، والاختلاف فيما بينها في تفاصيل أجندتها الخاصة وطرق الإصلاح التي تتبناها كل منها، والتطور الذي تشهده بعضها فيما يتعلق بدرجة الوعي السياسي، وتفعيل برامجها الخاصة إلا

لأغلبية جمعها الضعف النسبي لهيكلها التنظيمية وقلة ممارساتها السياسية ومحدودية عضويتها والذي تسبب في عدم انتشار نفوذها بشكل يجعل منها المؤثر الأهم في تشكيل الوعي السياسي والثقافي لدى شعوب المنطقة إلى الآن. هذا الضعف النسبي تفسره مجموعة الضغوط الحكومية والعقبات التي تحجم التمدد الطبيعي الداخلي والخارجي لتلك الحركات فضلاً عن حداثة نشأتها نسبياً إذا ما قُورنت بمجموع التحديات التي تواجهها داخلياً وخارجياً.

#### رابعاً: الحملة التنصيرية وأثرها على الشعوب:

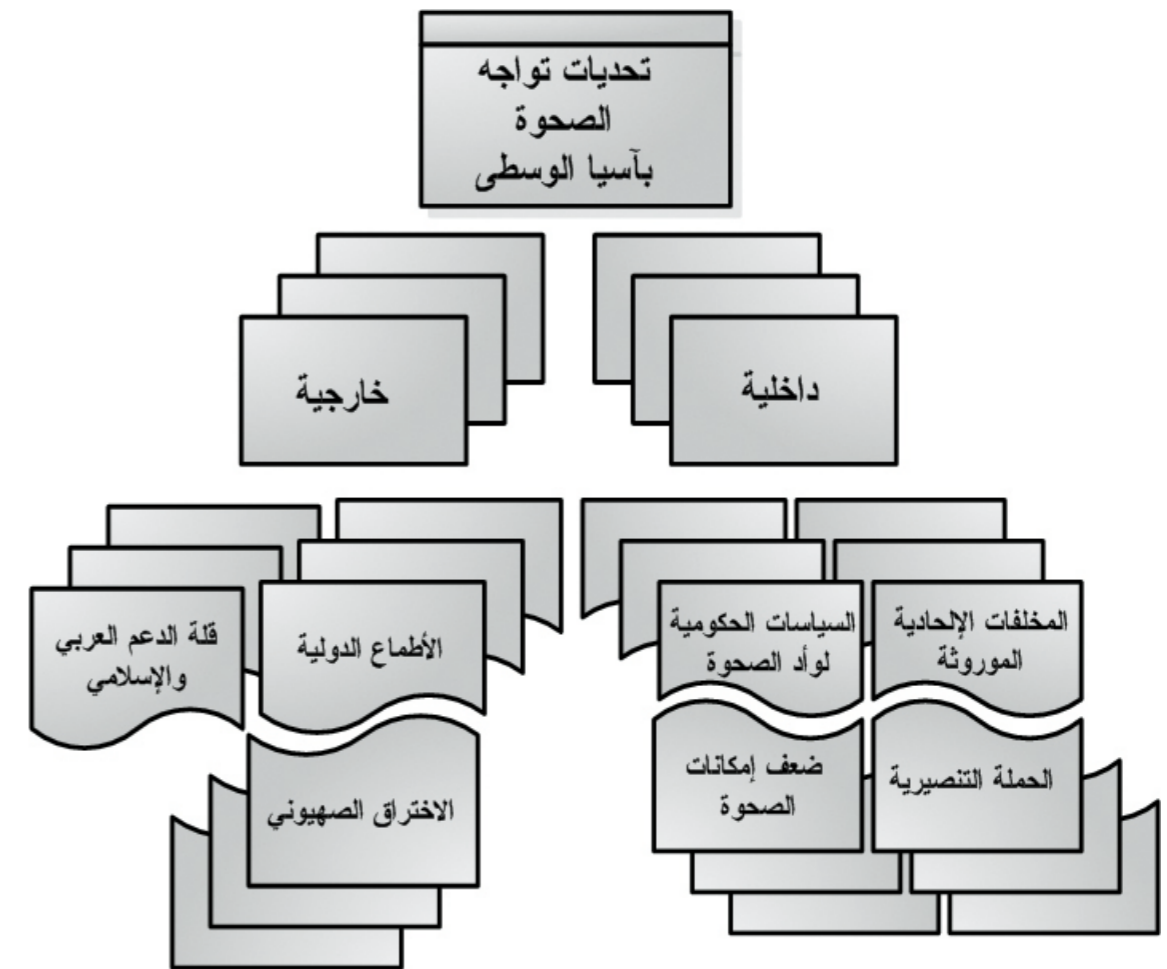
بعد أن أفلت مسلمو آسيا الوسطى من جحيم الشيوعية، تعرضوا لهجمة تنصيرية منظمة، نفذتها في هدوء وصمت العديد من الكنائس الغربية مستغلة الوضع الاقتصادي السيئ والفقر الشديد وحالة السيولة التي تعيشها شعوب المنطقة. ففي عهد الاتحاد السوفييتي السابق كانت السلطات تقاوم جميع الأديان، ولا سيما دين الإسلام بكل قوة واستبداد، وتفرض العقائد الإلحادية على الناس رغم أنهم، ومن جهة أخرى لم تكن تسمح للمبلغين - من مختلف الأديان والأفكار من الشرق والغرب - أن يمارسوا نشاطاتهم في المنطقة. والحقيقة أن انهيار الاتحاد السوفييتي فتح أمام النشاط التنصيري آفاقاً جديدة، حيث بدأت هذه النشاطات بعد تطبيق نظام البيروسترويكا، فالمنصرون الذين استغلوا هذه السياسات أعدوا الخطط المتعلقة بالنشاط التنصيري وكيفية تطبيق هذه الخطط في كل مجتمع على حدة قبل انهيار الاتحاد السوفييتي.

"وجاء في البيان الذي أصدره بابا الكاثوليك يوم ٣ مارس عام ١٩٩١م، والخطاب الذي ألقاه الرئيس الأمريكي يوم ٣ مارس عام ١٩٩٢م دعوة

المنصرين إلى نشر النصرانية في المعسكر الشيوعي المنهار ودول العالم الثالث ودول العالم الإسلامي. واستطاع المنصرون استغلال الوضع بعد أن تزودوا بدعم دولهم فوصلوا إلى المنطقة قبل تشكل مجموعة الدول المستقلة، وبدؤوا بترجمة الكتب الدينية وتوزيعها بكل الوسائل في هذه الدول<sup>(٢٧)</sup>. وبعد ظهور الجمهوريات المستقلة، وبسبب الحرب التي يواجهها الإسلام في هذه المنطقة: فضلاً عن الوضع المادي والمعنوي السيئ، تهيأت الظروف لهؤلاء المنصرين، فتدفقوا إلى المنطقة ومعهم كميات ضخمة من الكتب والمجلات والصحف التنصيرية، بالإضافة إلى استخدام

وعانت جمهوريات آسيا الوسطى من مصاعب اقتصادية عديدة في أعقاب حصولها على الاستقلال نظراً للارتباط الوثيق لاقتصاداتها وتبعيتها للاقتصاد السوفييتي

الإذاعات التنصيرية في الحملة التنصيرية بالمنطقة، وكان لهذه الحملات التنصيرية أسوأ الأثر في ظل هذه الظروف التي يعيشها مسلمو آسيا الوسطى، فضلاً عما ورثته تلك الشعوب من الحقبة السوفييتية من ضعف الهوية الإسلامية مما أدى إلى تنصر العديد من المواطنين ممن انقطعت صلتهم بدينهم ولم يعرفوا من الإسلام إلا اسمه. "فوفقاً لما ذكرته صحيفة روسية فإن نسبة مسلمي جمهورية فيرغيزستان، انخفضت خلال ثلاث سنوات بنسبة ٥% بسبب ارتدادها، ونقلًا عن "أمورزاك ماميسيوف" مدير اللجنة العامة للشؤون الدينية بفيرغيزستان، أوضحت صحيفة "روسيا" أن نسبة المسلمين انخفضت من ٨٤% في نهاية ٢٠٠١م إلى ٧٩.٣% في مطلع ٢٠٠٤م، وأضاف: إن نشاط البعثات التنصيرية أدى إلى ارتداد عشرات الآلاف



تحديات تواجه الصحة بآسيا الوسطى

عن الإسلام من سكان الجمهورية خلال السنوات الثلاث الماضية" (٢٨).

من جانب آخر تطف القوانين الحالية في جمهوريات آسيا الوسطى عاجزة أمام النشاطات التنصيرية حيث تنص الدساتير التي أعدت عقب إعلان استقلال هذه الدول عام ١٩٩٠م على أن الدولة تنظر إلى جميع الأديان بنفس المنظار. وتحمي حرية العقيدة وحق التبليغ الديني.

### تحديات خارجية تواجهها الصحة:

#### أولاً: قلة الدعم الإسلامي العربي:

ويأتي على رأس التحديات التي تواجهها الصحة على المستوى الخارجي قلة الدعم الإسلامي العربي ثقافياً واقتصادياً لشعوب

تلك المنطقة. فبعد انهيار الاتحاد السوفياتي وظهور جمهوريات آسيا الوسطى المستقلة كان من الواضح أن هذه الدول في حاجة ماسة لتلقي يد العون والحصول على المساعدة من الدول العربية والإسلامية بعد زوال الحاجز السوفياتي الذي كان يفصل بينها وبين هذه الدول التي تجمعها وإياها روابط ثقافية وتاريخية وجغرافية. وبدأت بعض دول آسيا الوسطى في التحرك صوب العالم الإسلامي؛ إذ كانت هذه الدول مهيةة لإقامة علاقات قوية مع الدول العربية والإسلامية. تقوم على أساس التعاون في كافة المجالات خاصة المجال الاقتصادي والثقافي. وعانت جمهوريات آسيا الوسطى من مصاعب اقتصادية عديدة في أعقاب حصولها على الاستقلال نظراً للارتباط الوثيق لاقتصادياتها وتبعيتها للاقتصاد السوفياتي لما يزيد على سبعة عقود من الزمان. هذا الاقتصاد الذي كاد أن ينهار بدوره مع تفكك الاتحاد السوفياتي.

"وكانت دول جمهوريات آسيا الوسطى -شعوباً وحكومات- يتوقعون في أول أيام الاستقلال أن الدول العربية سوف تقوم بتقديم مساعدات اقتصادية إليها عقب استقلالها عن النظام الشيوعي وانضمامها إلى العالم الإسلامي. ولكن لم تتقدم أي دولة عربية بهذا الدعم المأمول. والذي كان من الممكن أن يسهم بدوره إسهاماً قوياً في دعم التعاون الثقافي والعلمي مع تلك الدول. بينما كانت هناك دول أخرى كالولايات المتحدة ودولة الكيان الصهيوني تمد يدها ساعية نحو إقامة علاقات قوية على أكثر من صعيد مع جمهوريات آسيا

القوى الخارجية ذات النفوذ المؤثر في آسيا الوسطى تعمل على تحجيم نشاط الحركات الإسلامية في هذه المنطقة ووأدها إن أمكن في مهدها

الوسطى" (٢٩).

واقصر التحرك العربي والإسلامي اللاحق على الجانب الديني والثقافي. وفي إطار محدود نسبياً. دون أن يمتد بصورة فعالة إلى الجانب الاقتصادي الذي كانت

له أولوية خاصة لدى هذه الدول بحكم الظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تواجهها. في حين كان تأثير العامل الثقافي والديني المبدئي على سياسة هذه الدول الخارجية محدوداً؛ حيث إن الأنظمة السياسية في هذه الدول تؤكد على أن الأولوية في توجيه سياستها الخارجية لتحقيق المصالح الأمنية والاقتصادية. وبالرغم من تمتع الدول العربية -وخاصة منطقة الخليج العربي- بقُدَرَات وإمكانات تؤهلها إلى لعب دور في تلك المنطقة الحيوية من العالم يفوق أدوار الدول الأخرى إلا أن الواقع السياسي والاقتصادي. يكشف عن طبيعة العلاقات الهشة بين الجانبين. في ظل غياب مشروع عربي إسلامي مشترك تجاه منطقة آسيا الوسطى من شأنه المساعدة في تخطي شعوب آسيا الوسطى الأزمات الاقتصادية والثقافية التي تعصف بها. ومن ثم المساعدة في تخطي أزمة الهوية التي تعيشها شعوب المنطقة (٣٠).

### ثانياً: الأطماع الدولية في منطقة آسيا الوسطى:

إن الوضع غير المستقر لدول آسيا الوسطى الغنية بثرواتها وموقعها الاستراتيجي. والتي تمر بمرحلة انتقالية تتسم بعدم استقرار وهشاشة سياسية فضلاً عن الصحة الإسلامية القائمة على أراضيها بعد تفكك الاتحاد السوفياتي أدى مباشرة إلى بروز تلك المنطقة على خريطة العالم وإحياء طموحات بعض القوى القريبة والبعيدة. مما أدى لتعرض جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية لتنافس سياسي واقتصادي وأمني تميز بالقوة والوضوح.

هذه المعطيات الداخلية أفسحت المجال أمام القوى الدولية والإقليمية للتدخل في شؤون المنطقة ومحاولة السيطرة عليها. وهو ما دعا البعض لوصف ما يجري بأنه عودة إلى اللعبة الكبرى. وهو الوصف الذي كان قد أطلق على الصراع الذي دار بين روسيا القيصرية وبريطانيا العظمى للسيطرة على آسيا الوسطى إلا أن الصراع الجديد حلت فيه الولايات المتحدة الأمريكية محل بريطانيا. فضلاً عن دخول أطراف جديدة في هذا الصراع مثل الصين والكيان الصهيوني.

ولذا فإن الواقع الإقليمي والدولي لدول آسيا الوسطى منذ سقوط الاتحاد السوفياتي أصبح يُسَنِّجَل معوقاً آخر لنشاط الحركات الإسلامية. فعلى الرغم من أن التأثير الخارجي (خاصة أفغانستان) يُتَّهَمُ بأنه وراء انتشار "الصحة الإسلامية" في المنطقة. فإن المقطوع به أن ذات النفوذ المؤثر في آسيا الوسطى تعمل على تحجيم نشاط الحركات الإسلامية في هذه المنطقة.

وسنكتفي بتسليط الضوء على ثلاثة أطراف تمثل لها المنطقة بُعداً استراتيجياً خاضعاً فضلاً عما لها من تأثير حالي ومستقبلي في تشكيل الملامح السياسية والفكرية بآسيا الوسطى.

#### ١- روسيا ومصالح قديمة متجددة:

تسعى روسيا بصورة حثيثة إلى إعادة هيمنتها على جمهوريات الاتحاد السوفياتي القديم بصفة عامة. ومنطقة آسيا الوسطى بصفة خاصة. وذلك من خلال نظرة روسية خاصة قائمة على مبررات وركائز عدة. من أهمها:

- الوضع الجغرافي الخاص. الذي تحتله آسيا الوسطى بالنسبة لروسيا. والذي يدفع موسكو -في المقام الأول- لحماية أمنها. فمن وجهة نظر استراتيجية. تحيط دول آسيا الوسطى بروسيا من الجنوب على امتداد مساحات كبيرة. ومن هنا فإن آسيا الوسطى تعتبر التالي حلقة مهمة في محيط الأمن الروسي.

- خوف موسكو من انتشار الحركة الإسلامية في المنطقة كتهديد أساسي لأمنها وفقاً لرؤيتها. كما تخشى موسكو من تمدد الصحة إلى خارج آسيا الوسطى وفقاً لنظرية الدومينو التي بموجبها سوف تنتقل أديبات وتأثير الحركة الإسلامية إلى داخل روسيا بعد أن تنتشر أكثر بآسيا الوسطى.

- ويبرز أحد أهم نقاط الصراع الحالي بين الدول المتنافسة في آسيا الوسطى حول خط نقل النفط إلى العالم الخارجي. وهو يشكل ورقة استراتيجية هامة للدول التي ستمر أنابيب النفط فوق أراضيها. أو يصب عند شواطئها. فبالنسبة لروسيا فهي تتمسك بضرورة مرور تلك الأنابيب عبر أراضيها ومرافئها. فضلاً عن الفوائد الاقتصادية من جراء ذلك فإن ذلك يضع في يدها أداة بالغة الفاعلية لمواجهة المخطط الأمريكي للسيطرة على المنطقة.

- الانزعاج الروسي من تجاوز الصراعات داخل أفغانستان إلى الجمهوريات الأخرى من آسيا الوسطى قبل أن تصل إلى أراضي الاتحاد الروسي.

- وقف تدفق موجات المهاجرين الروس من آسيا الوسطى إليها. والذين يقدر عددهم الإجمالي ما بين ١٠-٩ ملايين فرد. وما قد يسببه ذلك من مشكلات

داخلية لروسيا.

- هناك دافع آخر للحفاظ على منطقة آسيا الوسطى كمجال حيوي يشجع الرغبات القومية لقطاعات عريضة من النخبة الروسية خاصة من بين دعاة إعادة بناء الإمبراطورية.

### الاستراتيجية الروسية لبسط نفوذها وتحقيق مصالحها بالمنطقة:

"استمرار فرض النفوذ الروسي - سياسياً وأمنياً واقتصادياً - على آسيا الوسطى عن طريق تقليد الموالين لها من أعضاء الأحزاب الشيوعية المحلية مقاليد الحكم قبيل انفصال تلك الدول عن روسيا؛ لضمان ولائهم للمصالح الروسية" (٣١).

- قمع التوجهات الدينية لشعوب المنطقة عن طريق القائمين على الحكومات المحلية العميلة. والتحرير ضد الحركات الإسلامية. ووسمها بالإرهاب. وعقد الاتفاقيات الإقليمية بهذا الشأن. وذلك للحد من الدور الإسلامي الذي يمكن أن تلعبه الصحة الإسلامية في آسيا الوسطى. والذي قد يمثل من وجهة النظر الروسية خطراً استراتيجياً على أمن روسيا ذاتها على المدى البعيد.

- العمل باستمرار على زعزعة الاستقرار في دول آسيا

منذ بداية انهيار الاتحاد السوفيتي عملت دولة الكيان الصهيوني على توثيق علاقاتها في مختلف المجالات، خاصة الاقتصادية والأمنية، مع جمهوريات آسيا الوسطى.

الوسطى من خلال استغلال الخصومات العرقية بينها فضلاً عن أن عملية رسم الحدود بين دول المنطقة صُمِّمَتْ من قبل الكرملين حتى لا تستطيع أي من الوحدات الإقليمية المنشأة والمستحدثة أن تكون قابلة للحياة خارج النظام

السوفيتي؛ فقد قسّمَتْ أراضي الجمهوريات الخمس كلها بطريقة متداخلة معقدة فانترعت أقاليم من دول وأعطتها لأخرى. والعكس صحيح. بما يضمن باستمرار وجود اضطرابات بالمنطقة.

- اعتمادها على الروس القاطنين في المنطقة كصمام أمان يضمن العمل على مصالحها؛ فضلاً عن تكريس الوجود العسكري الروسي لحماية الأقليات الروسية؛ إضافة إلى العمل على استمرار الهيمنة الروسية على إدارة المنشآت الحكومية والاقتصادية والإعلامية بسبب سيطرة العناصر الروسية والمالية لروسيا الخبيرة والمؤهلة على أغلب المناصب الهامة في آسيا الوسطى.

- ضمان التبعية العسكرية لدول المنطقة لروسيا عن طريق استمرار روسيا في فرض سيطرتها العسكرية ومظلتها النووية والتقليدية على دول المنطقة عن طريق الاتفاقيات الثنائية والقواعد العسكرية التي تحرص روسيا على الاحتفاظ بها في دول آسيا الوسطى. فضلاً عن الضعف العسكري لهذه الدول؛ إذ لا توجد لديها جيوش وطنية تُدْكَر. ولقد لخص بريجنسكي مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق وضع روسيا في آسيا الوسطى بقوله: روسيا هي أضعف بكثير من أن تستطيع إعادة فرض سيطرتها الإمبريالية. ولكنها أقوى بكثير من إمكانية إخراجها منها.

### ٢- الأطماع الأمريكية في المنطقة:

في ظل الأهمية القصوى لمنطقة آسيا الوسطى سياسياً وجغرافياً واقتصادياً وأمنياً فقد باتت هذه المنطقة في قلب اهتمام الاستراتيجية الأمريكية. وفي ظل النظام العالمي الجديد القائم على فكرة أحادية القطب العالمي فإن التواجد العسكري والاقتصادي الأمريكي في هذه المنطقة يستكمل فرض هيمنة الولايات المتحدة على المناطق الاستراتيجية في العالم. والذي استهدف بشكل مباشر تحقيق

الأهداف التالية:

- السيطرة على الثروات النفطية الكبيرة بالمنطقة. ولا اعتبارات كثيرة اهتمت الولايات المتحدة بنفط هذه المنطقة. منها محاولة الولايات المتحدة المستمرة البحث عن بديل للنفط العربي. بما يساعدها على زيادة القدرة على التحكم في أسعاره وضمان استمرار تدفقه لأسواقها وفقاً لشروطها؛ والسعي إلى عدم استفادة روسيا وإيران من موارد هذه المنطقة بقدر الإمكان.

- تسعى الولايات المتحدة إلى إعادة رسم خريطة التوازنات الإقليمية والدولية بما يحقق المصالح الأمريكية الاستراتيجية العليا. ويدخل في هذا الإطار إضعاف السيطرة الروسية على دول هذه المنطقة وإقامة حكومات قريبة لواشنطن ومتحالفة معها في هذه المنطقة. وتلاقت المصالح الأمريكية بالمنطقة مع توجهات بعض النُخب الحاكمة في بعض جمهوريات آسيا الوسطى. وإن اختلفت ردود أفعال كل منها تبعاً لظروف كل دولة ودرجة ارتباطها بروسيا.

- إحكام الرقابة على الصين. فهي من أهم الأهداف للتواجد الأمريكي بالمنطقة؛ إذ باتت الصين تهدد المصالح الأمريكية بالمنطقة خاصة مع تعاظم قوتها العسكرية والاقتصادية.

- الوقوف على أبواب موسكو عسكرياً. وتهديد الروس في أراضيهم.

- الضغط على إيران. ووضعها تحت التهديد المباشر للولايات المتحدة.

- نقل مركز المصالح الاستراتيجية والاقتصادية من المنطقة العربية إلى محيط بحر قزوين.

وهي استراتيجية ترمي إلى صبغ المنطقة بالنموذج الأمريكي سياسياً واقتصادياً وأمنياً. ودمجها ضمن الأطر السياسية والاقتصادية. وبالتالي الثقافية الأمريكية. وهو ما يسهل انقيادها ويضمن تحقيق المصالح الأمريكية بالمنطقة ووضعها في قاطرة

التبعية للهيمنة الأمريكية.

### - وقف المد الإسلامي في آسيا الوسطى:

المنتبع لما غلب على الفكر الغربي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي يجد أن الإسلام أضحى العدو الأول لأمريكا والغرب. وأصبح المد الإسلامي يُصَوَّرُ كخطر محقق يهدد مصالحها الاستراتيجية في تلك المنطقة؛ إذ أثار الصمود القوي للإسلام - بعد زوال الاتحاد السوفيتي السابق - والثروات الهائلة بالمنطقة مخاوف أمريكا والدول الغربية من سيطرة قوى إسلامية على مقاليد الحكم في تلك الجمهوريات. ومن هنا فإن تواجد أمريكا في آسيا الوسطى من خلال القواعد التي وفرتها لها حكومات هذه الدول فتح لها المجال لاحتواء المشروع الإسلامي المتنامي الذي تحمله الحركات الإسلامية في المنطقة. ليس فقط في هذه الجمهوريات ولكن في الدول المجاورة أيضاً (٣٢).

### ٣- الاختراق الصهيوني لآسيا الوسطى:

لم تتحرك الولايات المتحدة بمفردها في آسيا الوسطى لتحقيق مصالحها. وإنما أشركت - لاعتبارات عدة - الكيان الصهيوني في تحركاتها بالمنطقة وتعتبر الاستراتيجية الصهيونية بالمنطقة جزءاً من استراتيجية أمريكية غربية للدخول إلى قلب آسيا الوسطى للاستحواذ على مواقع الثروة ومصادر الطاقة المستقبلية في هذا الجزء المهم من العالم. وقطع الطريق أيضاً على الصين كقوة دولية صاعدة ومؤثر رئيس في الساحة الدولية. والتحرك الصهيوني هو جزء مكمل للأدوار الأمريكية. وجاء التنسيق العسكري والاستخباري الأمريكي الصهيوني في بعض بلدان آسيا الوسطى ضمن النشاط المضاد لروسيا والصين وغيرهما من الدول الإقليمية الفاعلة "كإيران" (٣٣).

وعلى الصعيد الاستراتيجي. تمتلك دول آسيا الوسطى مخزوناً ضخماً من اليورانيوم

-خاصة كازاخستان- وقد أدرك الكيان الصهيوني أنه من خلال تدعيم علاقاتها ونفوذها في هذه الدول تستطيع توفير كل متطلباتها من اليورانيوم اللازم لتعزيز ترسانتها النووية واحتياجات مفاعلاتها غير العسكرية. كما تستطيع أن تصبح مصدراً مهماً في أسواق اليورانيوم العالمية.

كما يحرص الكيان الصهيوني بشدة على منع تسرب التكنولوجيا والخبرات النووية والصاروخية والأسلحة المتطورة من تلك البلدان إلى الدول العربية والإسلامية. مع الحرص على قطع الطريق على تطور العلاقات بين مسلمي تلك المنطقة ببلدان آسيا الوسطى.

ولذا فمنذ بداية انهيار الاتحاد السوفيتي سارعت دولة الكيان الصهيوني إلى توثيق علاقاتها في مختلف المجالات -خاصة الاقتصادية والأمنية- وتفعيل العلاقات الدبلوماسية مع جمهوريات آسيا الوسطى مستغلة الفراغ الكبير الذي أحدثته تفكك الاتحاد السوفيتي للتواجد النشط في تلك المنطقة. بدعم قوي من الولايات المتحدة الأمريكية. وركز الكيان في المرحلة الأولى على التغلغل الاقتصادي والتأثير القوي في اقتصاديات تلك الدول من خلال رجال الأعمال الصهاينة. والصهاينة من شتى الجنسيات من جهة. ومسارة دولة الكيان للعب دور الوسيط النشط لجذب رؤوس الأموال الغربية إلى تلك البلدان. والمساهمة في تنشيط التبادل الاقتصادي. وفتح أسواق جديدة لتصريف منتجات دول آسيا الوسطى. مستغلة الضعف الاقتصادي الشديد لتلك الدول واستعدادها لقبول أي مساعدة خارجية تدفع بها لاجتياز أزمته الاقتصادية.

"كما استغل الكيان الصهيوني الوجود اليهودي في بعض دول آسيا الوسطى في اتجاهين: أولهما: فتح باب الهجرة من هذه الدول إلى الكيان. خاصة بعد سقوط الحائط الشيوعي. وثانيهما: تأمين بقاء جماعات ضغط يهودية في تلك المنطقة: لضمان بقاء

النفوذ الإسرائيلي في مواطن صنع القرار داخل دول آسيا الوسطى"<sup>(٣٤)</sup>.

ومع تصاعد الصحة ونمو الحركات الإسلامية. ثم مع صعود طالبان ودعمها لبعض الحركات الإسلامية في بلدان آسيا الوسطى -التي يعتبرها الكيان بمثابة عدو أساسي مواجه له- تحرك الكيان لاحتواء تهديد تلك الحركات وخطرها على مصالحه متعاوناً في ذلك مع النظم العلمانية الحاكمة في دول آسيا الوسطى. فضلاً عن دعم الدور الأمريكي الساعي لضرب الحركات الإسلامية بالمنطقة. وهكذا بدأ التعاون المخابراتي لمكافحة ما يسمى "الإرهاب الإسلامي" بين الكيان الصهيوني ودول آسيا الوسطى. "كما بدأ في أواسط التسعينيات تنفيذ برنامج صهيوني لتدريب رجال المخابرات في تلك الدول على أساليب مكافحة "الإرهاب" ونقل الخبرة الإسرائيلية في مكافحة ما تسميه الدولة الصهيونية الإرهاب الفلسطيني. واستمر الحال على هذا النحو طوال التسعينيات في ظل اهتمام أمريكي بدعم هذا التوجه. وتعزيز التعاون المخابراتي بين الكيان الصهيوني ودول آسيا الوسطى. بمشاركة من المخابرات الأمريكية"<sup>(٣٥)</sup>.

### الصحة وآفاق المستقبل:

ومع كل هذه التحديات التي يلهاها المسلمون وتعانيها الحركات الإسلامية بآسيا الوسطى. فإن الإسلام والرغبة في العودة إليه كإمانة في صدور المسلمين. تحتل ركناً أساسياً في هويتهم. إذ بدءوا يستشعرون حقيقة الهجمة الشرسة عليهم. وسوف تتحول التيارات الإسلامية مع الوقت إلى عنصر أساس فَعَال في التركيبة السياسية والاجتماعية في هذه الدول من خلال العمل الجماهيري والممارسة السياسية والأنشطة المعلنة والسرية. برغم ظروف القمع والتحديات الخارجية والتضييق الداخلي. وكل خطوة سياسية صحيحة تخطوها شعوب

المنطقة إلى الأمام سوف تؤدي بها إلى إدراك قيمة هويتها التاريخية. والرجوع إلى خصوصيتها الثقافية. والبحث عن ذاتيتها المفقودة. ولا هوية -حقيقة- تجتمع عليها شعوب آسيا الوسطى ولا رابط -يمكنه جمع شتات العرقيات المتنوعة بالمنطقة- غير الإسلام.

وفي ظل تعمق الصراع السياسي بالمنطقة. وفي وقت تعارضت فيه مصالح الطبقة الحاكمة مع معظم التيارات الداخلية الداعية للإصلاح فإن ذلك يدفع بالعديد من تلك التيارات الوطنية إلى الاقتراب من الحركات الإسلامية. كما يدفع بالحركات الإسلامية إلى الاقتراب منها. الأمر الذي يغذيه فشل السياسات الحكومية والعجز في تحقيق إصلاحات ديمقراطية. مما قد ينقل الشعوب إلى مرحلة البحث عن البدائل. فال مواطنون العاديون عانوا من مرحلة الانتقال المريرة التي عاشتها دول آسيا الوسطى. الأمر الذي ساهم في زيادة الإحباط في ظل وضع مغلق يسيطر عليه طبقة سياسية تستخدم الشعارات الديمقراطية لأغراض الدعاية الخارجية. بينما يمارسون سياسات تسلطية ضد شعوبهم التي تعيش أوضاعاً اقتصادية سيئة. كما تشير الدلائل إلى أن التصعيد الذي تقوم به بعض الأنظمة ضد ممارسة الشعائر الإسلامية التي لا تصرح بها قد استنفذت صبر الجمهور هناك. خاصة مع تنامي الوعي الديني. وزيادة الرغبة في التعرف على الإسلام. كما ساهم الدعم الخارجي الغربي والمساعدات المالية لحكومات المنطقة إلى اتساع مساحة الكراهية في قطاعات كبيرة من شعوب المنطقة ضد أمريكا؛ لاعتقادهم أن السياسة الأمريكية تهدف إلى دعم الطبقة الحاكمة التي تمسك بزمام الأمور في تلك الدول. وتخدم مصالحها؛ مما أدى إلى إدراك متزايد لدى مجتمعات آسيا الوسطى أن السياسة الأمريكية ربما تكون هي التهديد الأول لعملية التحول الديمقراطي في بلادهم من خلال دعم استقرار النظم التسلطية في المنطقة. وتأكدت الشعوب أنهم بعد

أن تخلصوا من الشيوعية -سبب البلاء- لم ينعموا بالديمقراطية الموعودة. ولم يلحقوا بتقدم الغرب ورفاهيته. وهي أجواء مناسبة لتفعيل أجنحة الصحة السياسية وتنشيط الحركات الإسلامية.

كما ينبغي التأكيد على أن تأثير وانتشار الصحة المتزايد أثبت أنه بالرغم من كثرة الأيديولوجيات التي فُرِضَتْ على شعوب المنطقة -ورغم حداثة الصحة وما تلاقيه من تحديات تتجاوز طاقتها- إلا أن عموم المسلمين يعيشون في فراغ كبير لا يستطيع ملأه إلا حركات تعتمد على الإسلام كعقيدة وشريعة واضحة: لاستعادة موقعها الحضاري.

كما يؤكد انتشارها على أن المجتمعات المسلمة يزداد تفاعلها مع مشاريع ورسالة الصحة. مهما كانت صعوبة المرحلة التاريخية والسياسية التي أدت إلى ابتعاد كثير منهم عن الالتزام الحقيقي بدينهم. إن هذه المؤشرات الإيجابية تؤكد على أن الشعوب في حالة من الاستعداد للتعاظم الحيوي مع مشاريع الصحة وأطروحاتها في حال مراجعة الحركات الإسلامية -التي باتت هي الأقدر على التجاوب مع الجماهير- لخططها وبرامجها بصورة تتمكن معها من مواكبة التغيرات الكبيرة التي تحدث بالمنطقة وتجعلها تتحرك بخطى واثقة صوب آفاق العمل الإسلامي الواسع. مما يجدر معه أن تنجح الصحة للبحث عن الحلول المناسبة لقضايا مسلمي تلك الشعوب بعيداً عن التسطيح والتميع. وبعيداً عن السياسات المتعجلة في وسط ظروف داخلية هشّة وفي ظل الانقسام الكبير الذي يعيشه المسلمون بين المبادئ الإسلامية والواقع الراهن بآسيا الوسطى. فضلاً عن كثرة المتربصين من خارج الصحة والذين وإن تقاطعت واختلفت رؤاهم ومصالحهم إلا أنها تلاقت على وأد الصحة بالمنطقة.

كما تستدعي المستجدات التي تعصف بالمنطقة الاستعداد الواعي من رموز الصحة الإسلامية بآسيا الوسطى لمواجهةها والتسلح بالرؤية الاستراتيجية



## (هوامش)

- ١- محمد رضا جليلي - تيري كيليز جيو- سياسة آسيا الوسطى. ترجمة الدكتور: علي مقلد. منشورات دار الاستقلال للثقافة والعلوم القانونية. الطبعة الأولى ٢٠٠١.
- ٢- تطور مفهوم الشرق الأوسط من الاستعمار التقليدي إلى الإمبراطوري الأمريكي. مجدي رياض. الوحدة الإسلامية.
- ٣- المعلومات الواردة بهذا الجزء مقتبسة من عدة مصادر أهمها: رحلة في أعماق طاجيكستان. مصطفى الطحان. موقع التاريخ ٢٢/١٢/٢٠٠٣ - مقال د. علي عبد الرحمن عوض. (المسلمون المنسيون في روسيا) مجلة "البيان" العدد ٦٦.
- ٤- انظر: مأساة القوقاز المسلمة وملحمة الشيشان الصامدة. الجذور والأسباب. سعيد عبدالحكيم زيد. مكتبة وهبة.
- ٥- ميثم الجنابي. الإسلام في أوارسيا. دار المدى السورية ٢٠٠٣.
- ٦- طاجكستان: بين مطرقة الاحتلال الروسي وسندان الاحتواء الغربي. دراسات: الجندي المسلم: عدد ١١٤ - ذو الحجة ١٤٢٤هـ.
- ٧- موقع: ماب كويست. <http://www.mapquest.com/atlas/>
- ٨- ميثم الجنابي. الإسلام في أوارسيا "بتصرف" دار المدى السورية ٢٠٠٣.
- ٩- جمهورية قرغيزستان بين خيارين.. التوجه الإسلامي. والاحتواء الغربي مجلة الجندي المسلم رقم العدد: ١١٦ تاريخ العدد: ٠١/٠٧/٢٠٠٤
- ١٠- ميثم الجنابي. الإسلام في أوارسيا. دار المدى السورية ٢٠٠٣.
- ١١- محمد رضا جليلي. تيري كيليز جيو- سياسة آسيا الوسطى. ترجمة الدكتور علي مقلد. منشورات دار الاستقلال للثقافة والعلوم القانونية. الطبعة الأولى. ٢٠٠١.

البعيدة المدى للتعامل معها. ومراجعة التوجهات المعتمدة داخل الحركات الإسلامية للتغيير والإصلاح. عبر تحليل الواقع الداخلي للقوى الإسلامية. والواقع الخارجي الذي تتعامل معه. بدون القفز على الواقع المعاش الذي اعتراه فترات انقطاع طويلة عن الثقافة والوعي الإسلامي.

- ١٢- د/ إبراهيم عرفات. حركات إسلامية في آسيا الوسطى. الفصل السادس من كتاب الحركات الإسلامية في آسيا. مركز الدراسات الآسيوية جامعة القاهرة ١٩٩٨.
- ١٣- لمزيد من المعلومات عن حزب النهضة انظر د/ إبراهيم عرفات. (حركات إسلامية في آسيا الوسطى). الفصل السادس من كتاب "الحركات الإسلامية في آسيا". مركز الدراسات الآسيوية جامعة القاهرة ١٩٩٨. وانظر أيضا طاجيكستان. المعارضة الإسلامية ضمن الإجماع الوطني. حوار أجرته شبكة "إسلام أون لاين.نت" مع محمد سيد غنيوف رئيس لجنة الشباب في حزب النهضة الإسلامي ٣٠/٠١/٢٠٠٣.
- ١٤- جمشيد محمدي اشتباكات وانفجارات جديدة تهز أوزبكستان - إسلام أون لاين.نت. ٣٠-٣-٢٠٠٤.
- ١٥- الحركة الإسلامية في أوزبكستان. [www.almansiuon.com](http://www.almansiuon.com)
- ١٦- بلاغ القيادة العامة للحركة الإسلامية - أوزبكستان <http://www.e-prism.org/images/balagh01.doc>
- ١٧- ميثم الجنابي. الإسلام في أوارسيا "بتصرف". دار المدى السورية ٢٠٠٣.
- ١٨- إسلام كريموف - المجلس الأعلى الأوزبكيستاني. أوزبكستان المسلمة.
- ١٩- من المسؤول عن أحداث أوزبكستان؟ أوزبكستان المسلمة.
- ٢٠- أوزبكستان.. سيناريو ثورة "الإسلاميين" مرفوض. محمد جمال عرفة. إسلام أون لاين.
- ٢١- من خطاب كريموف لموظفي المحاكم والقضاء في مقره بـ "دورمان" بتاريخ: ٨ / مايو / ٢٠٠٣ أوزبكستان المسلمة.
- ٢٢- انظر: خلق أعداء للدولة الاضطهاد الديني في أوزبكستان - أوزبكستان: سجن وتعذيب المنشقين المسلمين. موقع منظمة هيومان

رايتس ووتش.

- ٢٣- جمهورية قرغيزستان بين خيارين: التوجه الإسلامي. والاحتواء الغربي. مجلة الجندي المسلم رقم العدد: ١١٦ تاريخ العدد: ٠١/٠٧/٢٠٠٤.
- ٢٤- د. أحمد بن محمد العيسى. الجذور التاريخية لسياسة تجفيف المنابع. بتصرف. البيان ٧٤. ١٩٩٤.
- ٢٥- د/ إبراهيم عرفات. حركات إسلامية في آسيا الوسطى. الفصل السادس من كتاب (الحركات الإسلامية في آسيا). مركز الدراسات الآسيوية. جامعة القاهرة ١٩٩٨.
- ٢٦- أحمد رائف. مستقبل الإسلام في روسيا وما وراء النهر. الزهراء للإعلام العربي. الطبعة الأولى ١٩٩٤.
- ٢٧- النشاطات التنصيرية في آسيا الوسطى والقوقاز صحيفة "المحايد" العدد (٨٦) الثلاثاء ١ ربيع الأول ١٤٢٥هـ.
- ٢٨- التنصير يقلل عدد مسلمي قرغيزستان. إسلام أون لاين.نت. ٢٦-٦-٢٠٠٤.
- ٢٩- أ. د. محمد سعد أبو عامود. في ظل أخطاء السياسة العربية والتحويلات الاستراتيجية: أمريكا ودولة الكيان وسيناريوهات المصالح المشتركة في آسيا. جريدة البيان الإماراتية ٢٥/١/٢٠٠٢م.
- ٣٠- انظر: مجلس التعاون الخليجي ودول آسيا الوسطى.. آفاق التعاون. محمد مصطفى زير. شؤون خليجية العدد ٣١. ٢٠٠٢.
- ٣١- محمد أمين البخاري. الدب الروسي.. وصحة الموت. آسيا الوسطى بين فكي كماشة. مجلة "البيان". ١٦١. ٢٠٠١.
- ٣٢- انظر: آسيا الوسطى وتلاقي المصالح على حرب الإسلام. حسن الرشيد. "مجلة البيان" ١٦٩. ٢٠٠١.
- ٣٣- د. محمد فراج أبو النور آسيا الوسطى.. منطقة جديدة للصراع والتوغل الصهيوني. جريدة

### معلومات إضافية

#### أوراسيا:

"وتقع حدود الأوراسيا غرباً على ضفاف أوروبا الغربية على المحيط الأطلنطي، وتمتد نحو الشرق حتى تبلغ ضفاف الصين على المحيط الهادي . وتحتوي الأوراسيا على ثلثي سكان العالم، وتنتج ثلثي الناتج الإجمالي العالمي، وبها أكبر دولتين من حيث عدد السكان: الصين (مليار و ٢٨١ مليون نسمة) والهند (مليار و ٥٠٠ مليون نسمة). وأكبر دولة من حيث المساحة: روسيا (١٧,١ مليون كيلو متر مربع) ومن حيث عدد الصواريخ النووية بعيدة المدى الموجهة رأساً إلى الأهداف الحيوية في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية."

الصراع على النفوذ في أوراسيا د. خالد عبد العظيم، السياسة الدولية، العدد ١٦١ يوليو ٢٠٠٥ المجلد ٤٠.

#### الحرب الأهلية في آسيا الوسطى

طاجيكستان هي الدولة الوحيدة في آسيا الوسطى التي اندلعت فيها حرب أهلية منذ انهيار الاتحاد السوفييتي. وقُتِل ما يصل إلى خمسين ألف شخص في الحرب التي استمرت خمس سنوات بين عامي ١٩٩٢-١٩٩٧، وفر خلالها نحو عُشر سكان البلاد.

دليل للتوترات السياسية في آسيا الوسطى bbc العربي.

خرجت طاجيكستان ببطء من الحرب الأهلية المدمرة التي اندلعت فجأة عام ١٩٩٢، مخلفة وراءها آلاف الضحايا [٢]. مع العلم أنه تم وضع حد لها بعد خمسة أعوام، من خلال ميثاق للسلام، صدر في العام ١٩٩٧، وخض المعارضة الإسلامية بقيادة حزب التجدد الإسلامي بثلاث المراكز الحكومية.

آسيا الوسطى بين القومية والإسلام، فيكن شيتريان diplomatique Monde

- " ففي طاجيكستان، التي نالت استقلالها عام ١٩٩١، اندلع قتال مرير فيما بين الميليشيات التي تمثل مناطق مختلفة في البلاد، أدى إلى كثير من الخراب، ومزق أوامر البلاد، ونتج عن الصراع وعواقبه مقتل ما يربو على ٥٠ ألف شخص وأدى إلى وقوع كارثة إنسانية، صار على إثرها حوالي ١.٢ مليون شخص في عداد اللاجئين أو المشردين داخلياً.

طاجيكستان: التحرر من ويلات الحرب الأهلية الأمم المتحدة <http://www.un.org/arabic/>

#### وادي فرغانة

وادي فرغانة.. صاحب تاريخ تليد... وصاحب مكانة استراتيجية بين جمهوريات آسيا الوسطى

الإسلامية. وذلك راجع إلى كونه مخزوناً من العلماء والثروات في آن واحد... فعبّر التاريخ قَدَم الوادي العظيم ٩٠٪ من علماء الإسلام لآسيا الوسطى كلها. مثل: الإمام الترمذي، والإمام البخاري، والخوارزمي عالم الرياضيات الشهير وكثيرين غيرهم.

كما يقدم الوادي الذي يضم ١٦ مليون نسمة ٩٠٪ من موظفي الدول التي تشترك في أراضيه؛ إذ إن نسبة التعليم بين سكانه تصل إلى ٩٠٪.

والوادي كذلك يمثل مخزوناً للثروات من النفط والذهب والقطن والقمح والمياه المعدنية. هناك ثلاث دول تحيط بالوادي، وتنقسم أراضيه هي: قيرغيزستان، وأوزبكستان، وطاجيكستان .. رغم أن أراضي الوادي تتوزع بين الدول الثلاث وكذلك سكانه، إلا أنه يحتفظ بسمت خاص وعادات وتقاليد خاصة، كما أنه يحتفظ بمكوّن ثقافي خاص جعل له خصوصيته، فأهل الوادي متمسكون بالإسلام، وهذا ينعكس على عاداتهم ومسالكتهم ومناسباتهم، وتهتم المدارس المدنية هناك بإدخال مواد إسلامية في مناهجها.

وادي فرغانة.. مخزون من الحضارة والثروات. مجلة المجتمع، ١٦٠٨/٠٣/٠٧/٢٠٠٤.

وعرف الوادي الممتد على مسافة ٣٠٠ كم طولاً و ١٥٠ كم عرضاً في العهد السوفييتي كقلب زراعي للدولة وواحة شديدة الخصوبة ليس فيها مساحة خالية من حقول القطن وأشجار الفاكهة المثمرة. لا سيما المشمش والتفاح والرمان التي يشتهر بها الوادي في أنحاء آسيا الوسطى. وبسبب خصوبته الزراعية احتل الوادي المرتبة الأولى في المنطقة من حيث ارتفاع معدل الكثافة السكانية، إذ يعيش فيه اليوم نحو عشرة ملايين إنسان نصفهم من القيرغيز، وثلثهم من الأوزبك، والبقية من الطاجيك.

ورغم هذا التنوع العرقي عاش سكان وادي فرغانة به لقرون خلت ككتلة سكانية متجانسة، وأظهروا تضامنهم انطلاقاً من الرابطة التي أوجدها بينهم الإسلام.

وإلى جانب شهرته كمناطق زراعية شديدة الخصوبة يشتهر وادي فرغانة بانتشار المشاعر الإسلامية بقوة بين سكان مناطق الثلاث الفخورين بعدم أكلهم للحم الخنزير طوال العهد السوفييتي الشيوعي.

ويُعرف سكان الجزء الأوزبكي من الوادي بأنهم الأكثر التزاماً بالإسلام في آسيا الوسطى. ويبدو هذا في سفر أكبر عدد من الناس سنوياً للحج من هذا الجزء الذي ينتشر الحجاب بين نسائه أكثر من أي مكان في المنطقة.

وأسهمت الصحة الدينية المنتشرة بين سكان وادي فرغانة منذ زوال الاتحاد السوفييتي في ازدهار المنظمات الإسلامية مثل حزب التحرير الإسلامي، والحركة الإسلامية الأوزبكية التي

ظلت حتى أحداث ١١ سبتمبر/ أيلول الخطر الحقيقي المهدد لأنظمة دول المنطقة. وفي صيف العام ٢٠٠٠ خاضت الحركة الإسلامية الأوزبكية انطلاقاً من قاعدتها الرئيسية في منطقة جام بالجزء الطاجيكي من وادي فرغانة مواجهة مسلحة ضارية مع الجيشين الأوزبكي والقيرغيزي الذين قتل منهما المئات.

فرغانة .. بوتقة لصهر القوميات في آسيا الوسطى. الجزيرة نت، ١٤-٥-٢٠٠٥.

### الإدارات الدينية لوسط آسيا بعد تفكك الاتحاد السوفييتي:

١- الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازخستان: ومركزها طشقند تأسست عام ١٩٤٣ وهي سنية على المذهب الحنفي ويرأسها حالياً المفتي محمد صادق محمد يوسف.

٢ - الإدارة الدينية لمسلمي روسيا الأوروبية وسيبيريا: مركز أوف في جمهورية بشكيريا. تأسست ١٣٨٣ وهي سنية على المذهب الحنفي يرأسها طلعت تاج الدين تزيف منذ عام ١٩٨٠م.

٣- الإدارة الدينية لمسلمي القوقاز الشمالي وداغستان. تأسست عام ١٩٧٤ وهي تنقسم الآن إلى ٥ إدارات حسب المناطق وهي سنية على المذهب الحنفي.

٤- الإدارة الدينية للمسلمين الشيعة والسنة فيما وراء القوقاز. مركزها باكو عاصمة أذربيجان وهي مختلطة شيعية جعفرية وسنية حنفية. تأسست عام ١٩٤٤ يرأسها شيخ الشيعة حجي علي شكريا شازاده.

وهذه الإدارات الأربع كانت هي المؤسسات الإسلامية المعترف بها فقط. وكل نشاط خارج عنها كان يعتبر مخالفاً للقانون سواء كان في المساجد أو غيرها. وأصحاب هذه الإدارات الرسمية هم المسموح لهم فقط بتمثيل المسلمين السوفيات في البلدان الإسلامية. ولا يزال الوضع في الظروف الانتقالية كما ذكرنا وإن كانت هناك بوادر لتقسيم الإدارة الخاصة بمسلمي آسيا الوسطى.

واقع المسلمين بعد تفكك الاتحاد السوفييتي السابق. د. عبد الله الطويل. مجلة السنة العدد ٢١

شوال - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

### قمة شنغهاي بالصين:

في ١٥ يونيو ٢٠٠١. اجتمع رؤساء كل من روسيا والصين وكازخستان وقيرغستان وطاجيكستان في مدينة شنغهاي بالصين: لعقد قمة تتهم السنوية التي بدأت منذ عام ١٩٩٦م. وعُرفت باسم "شنغهاي خمسة" (Shanghai Five).

وبالرغم من أن أساس إنشاء هذه القمة يُعتبر اقتصادياً في الأصل - وذلك في إطار التحالفات الاقتصادية التي غمرت العالم - فقد انصبَّ اجتماع هذا العام على محورين أساسيين هما: المحور الأمني، والمحور الاقتصادي. بل لوحظ هذا العام غلبة المحور الأمني وغياب الاقتصادي.

وتركز اهتمام المحور الأمني على محاربة الإسلاميين في منطقة آسيا الوسطى. وكذلك التكتل ضد الخطر الأمريكي المتمثل في الدرع الصاروخي الأمريكي. وأما المحور الاقتصادي، فقد اهتم ببسط النفوذ الروسي - الصيني على ثروات منطقة آسيا الصغرى - وأهمها طبعاً البترول - والسبق إلى استغلالها قبل أن تستأثر بها الولايات المتحدة الأمريكية.

وقبل الخوض في تلك المحاور وفي تفاصيلها، سنتجه أولاً إلى إبراز نبذة سريعة عن قمة شنغهاي، والدوافع وراء إقامتها، والأسباب التاريخية وراء تحالف أعضائها.

بدأت مجموعة شنغهاي تظهر في عام ١٩٩٦م. وضمت الدول الخمس سالفة الذكر. وكان إنشائها بغرض التحالف الاقتصادي والسياسي - عبر حدود تلك الدول - في منطقة آسيا الوسطى. خاصة بعد سقوط الاتحاد السوفييتي؛ وتلخّصت مهمة هذه المجموعة في نزع السلاح عبر حدود أعضائها، وتوثيق العلاقات الاقتصادية فيما بينها.

وبالفعل، تم إنجاز هذه المهمة بنجاح؛ ومن ثم انتقلت مجموعة شنغهاي إلى هدف أعلى وهو محاربة ما تصفه - ومعها الإعلام الغربي - "بالقوى الشريرة الثلاثة"، وهي: الإرهاب الدولي - التطرف الديني - النزعات الانفصالية!

وفي اليوم الأول من قمة شنغهاي الأخيرة، انضم لمجموعة شنغهاي عضو جديد سادس - هو جمهورية أوزبكستان - لتتحول "شنغهاي خمسة" إلى مجموعة جديدة اسمها منظمة شنغهاي المتحدة (SCO).

قمة شنغهاي.. خالف ضد الهلال والكاوبوي! إسلام أون لاين ٢٠٠١/١/٢١ شيرين حامد فهمي

#### ثروات آسيا الوسطى:

تشير التقديرات إلى أن احتياطي النفط - الذي لم يتم استثماره - بمنطقة آسيا الوسطى والقوقاز يبلغ ٢٠٠ بليون برميل. وتمثل قازاخستان أكبر دولة منتجة للنفط في آسيا الوسطى. وقد بدأت عمليات التنقيب فعلاً في بحر قزوين، وسيصبح إنتاجها ذات طبيعة استثمارية عام ٢٠٠٤. وتنشط الشركات الأمريكية للتنقيب والبحث، وفي عام ١٩٩٣ وقّعت شركة "شيفرون" الأمريكية مع حكومة قازاخستان صفقة هي الأضخم من نوعها التي وقّعتها شركة أمريكية مع دولة مستقلة.

الأبعاد السياسية لزيارة أولبرايت لجمهوريات آسيا الوسطى، عبد الرحمن سعيد، مجلة السنة العدد ٩٦ - ربيع الثاني ١٤٢١ هـ - يونيو (حزيران) ٢٠٠٠م.

تمتلك المنطقة (آسيا الوسطى والقوقاز) ثروات طبيعية هائلة، فقيرغيزستان ترقد على مناجم هائلة من الذهب، وطاجيكستان تمتلك مناجم كبيرة من اليورانيوم تم اكتشافها في الثلاثينيات. وفي عام ١٩٤٦م، وفي مدينة تابوشا الطاجيكية تم تشييد أول معمل سوفييتي لاستخلاص اليورانيوم الذي استُخدم كمادة أولية في تصنيع بلوتونيوم القنبلة الذرية، وفي ٢٩ أغسطس ١٩٤٩م تم تفجير أول قنبلة بلوتونيومية مصنوعة من اليورانيوم الطاجيكي.

ويتواجد اليورانيوم الطاجيكي في مناجم "أدرسمان" و"تابوشار". وهناك مصنع للصواريخ في منجم "ناوجزران - تشيغريك"، ومنجم "كيزل جهر" الذي يحتوي - إلى جانب اليورانيوم - على ثروات من الذهب.

آسيا الوسطى.. أطماع عمرها خمسة قرون! ٢٠٠١/١١/١ شعبان عبد الرحمن - إسلام أون لاين، نت.

جاء البيان الذي أصدره بابا الكاثوليك يوم ٣ مارس ١٩٩١م والذي دعا فيه المنصرين إلى نشر النصرانية في البلاد الشيوعية سابقاً ليكون بمثابة إشارة البدء لهذه المنظمات بالعمل، واتخاذ موسكو قاعدة لها للانطلاق نحو الجمهوريات الإسلامية المستقلة أو التي تتمتع بالحكم الذاتي في روسيا الاتحادية.

التنصير في آسيا الوسطى، المنسيون